

## وثيقة نادرة من عصر الترجمة في العصر العباسي

رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى  
في ذكر ما تُرجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم  
دراسة وتحليل

د. وليد محمود خالص(\*)

منذ أن نشر الأستاذ (كوتهلر برجستراسر) رسالة حنين بن إسحاق (توفي سنة ٢٦٠ للهجرة)، إلى علي بن يحيى المنجم<sup>(١)</sup> (توفي سنة ٢٧٥ للهجرة)، سنة ١٩٢٥، في لايبزج<sup>(٢)</sup>، وهي تحتل مكانها المهم، واللائق في تاريخ الطب العربي، وحركة الترجمة القديمة معاً، وذلك بوصفها من الرسائل التي أولت توثيق ما تُرجم في زمن حنين من كتب الطبيب اليوناني الشهير جالينوس (غالن)، مع تفصيلات تغني درس مناخ الترجمة وقتذاك. وتكتسب هذه الرسالة أهميتها من جانب آخر، هو ندرة هذا النمط المنهجي في التأليف في مجمل التراث العربي عموماً، والطبي خصوصاً، وكان علينا أن ننتظر زمناً ليس بالقصير لنظفر بتلك الكتب التي صرفت همّتها لسرد كتب المتقدمين، ومؤلفيها<sup>(٣)</sup>.

(\*) باحث متفرغ/عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(١) علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، شاعر، راوية للأخبار، ومن رعاة العلم عموماً، والترجمة خصوصاً في عهد ازدهارها. نادم بعضاً من خلفاء بني العباس، وكان محباً للكتب، جماعاً لها. أنشأ (خزانة كتب عظيمة، كان يسميها خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها، ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبدولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى). ولأمر قريب من هذا، طلب من حنين أن يضع هذه الرسالة. ينظر: معجم الأدباء، ٤٣٠/٥، وما بعدها، مع مصادر المحقق في الهامش.

(٢) وأعاد نشر هذه الرسالة د. عبدالرحمن بدوي في كتابه: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب. سنة ١٩٨١. وقد أوردتها كاملة تقريباً، ابن أبي أصيبعة في كتابه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١/١٣٦-١٥٤، ومن الممكن اعتبارها نسخة ثالثة منشورة. وقد تمكّن الباحث من الحصول على نشرة الأستاذ (برجستراسر) من مكتبة جامعة (أوبسالا) في السويد، واعتمد في هذا البحث على نشرة د. عبدالرحمن بدوي.

(٣) ينظر: معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما أُلف فيها. عبدالله بن محمد الحبشي، ١٠٢٩/٢، وما بعدها، ويحصي الأستاذ الحبشي خمسة وعشرين كتاباً، اعتنت بهذا المضمون، أغلبها، إن لم يكن كلها، تعود إلى تاريخ متأخر.

كتب جالينوس. كتبه إلى ابن المنجم<sup>(٨)</sup>، ولعلّه يفيد من ابن النديم أيضًا. ونراها عند ابن أبي أصيبعة هكذا: (مقالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس، وبعض ما لم يترجم. كتبها إلى علي بن يحيى المنجم<sup>(٩)</sup>)، وهي عند إسماعيل البغدادي: (كتاب إلى ابن المنجم في استخراج كمية كتب جالينوس)<sup>(١٠)</sup>.

وعن تلك المصادر تنقل دراسات المستشرقين، فنجدها عند (د. ماكس مايرهوف) في بحثه عن (العلوم والطب)، فيقول: (... ولقد استدللنا من رسالته (حنين) missive، المطبوعة مؤخرًا<sup>(١١)</sup>)، بأنه ترجم إلى العربية جميع آثار (جالينوس) العظيمة، وهذا ما يستغرق مئة كتاب سرياني، ويتسع لتسع وثلاثين ترجمة عربية لمصنّفات (جالينوس) الفلسفية، والطبية<sup>(١٢)</sup>، ويقول أيضًا: (أما عن الدراسة في معاهد بغداد الطبية، فتكفي فقرة مهمة واحدة، نوردها هنا من كتاب (حنين المطبوع مؤخرًا باسم (رسالة في تراجم جالينوس) لتظهر لنا طرق الدراسة اليونانية تُبعث حيّة من جديد في ٨٥٦م، ولتعطينا الصورة الدقيقة عن الأسلوب الذي كانت تدرس به كتب (جالينوس) العشرين<sup>(١٣)</sup>)، ويعلّق مترجم كتاب (تراث الإسلام)، جرجيس فتح الله، على ما سبق بقوله: (أما الكتاب الذي اقتبس منه المؤلف هذه

ونذكرنا هذه الرسالة، بأخرى لفيلسوف العرب، أبي يوسف، يعقوب بن إسحاق بن الصباح... بن يعرب بن قحطان، (توفي على الأرجح في أواخر سنة ٢٥٢ للهجرة)<sup>(٤)</sup>، وعنوانها: كمية كتب أرسطوطاليس، وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة، تلك الرسالة التي نشرها د. محمد عبدالهادي أبو ريده، سنة ١٩٥٠، وهي تتفق منهجيًا مع رسالة حنين في مناحٍ كثيرة كما سنرى. ولهذا نعتقد أنّ الوقوف عند هذه الرسالة، ودرسها دراسة مفصلة، يكشف جانبًا من حركة الترجمة في العصر العباسي، ما كان لنا أن نقف على مفاصله، لولا هذه الرسالة.

ترد هذه الرسالة منسوبة إلى حنين بن إسحاق، بعناوين مختلفة، تؤدّي كلّها إلى أنّ حنينًا كتب رسالة إلى علي بن يحيى المنجم، بناء على طلب الثاني، ذكر فيها (ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم). فهي عند ابن النديم: (فهرست كتب جالينوس الذي عمله حنين إلى علي بن يحيى)<sup>(٥)</sup>، وفي موضع آخر، بهذه الصيغة: (كتاب إلى ابن المنجم في استخراج كتبه، كتب جالينوس)<sup>(٦)</sup>، ويثبت القفطي العنوان، كما ورد عند ابن النديم، وهو: (فهرست كتب جالينوس الذي عمله حنين إلى علي بن يحيى)<sup>(٧)</sup>، وفي موضع آخر، بعنوان مختلف، هو (كتاب استخراج كمية

(٨) المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٩) عيون الأنباء، ٢/١٦٢.

(١٠) هدية العارفين، ص ٣٤٠.

(١١) توفي ماكس مايرهوف سنة ١٩٤٥، وولد سنة ١٨٧٤، ولم يذكر مترجم بحث مايرهوف السنة التي نشر فيها بحثه، ويبدو أنّها قريبة من سنة ١٩٢٥، سنة نشر رسالة حنين في لايبسك، بدلالة كلمة (مؤخرًا) الواردة في النص.

(١٢) تراث الإسلام، ص ٤٥٤.

(٤) حقّق صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبدالرازق رحمه الله هذا التاريخ، وتوصّل إليه بعد درس، وتمحيص. تنظر مقدمة (رسائل الكندي الفلسفية). حقّقها وأخرجها د. محمد عبدالهادي أبو ريده، ١/٥٠.

(٥) الفهرست، ص ٤٥٧.

(٦) المصدر السابق، ص ٤٦٤.

(٧) إخبار العلماء، ص ١٠٣.

الفقرة، فهو كتاب حنين "في تراجم جالينوس العربية، والسريانية" المطبوع في لايبزك، السنة ١٩٢٥ م، باعثناء جي. بيركستراسر<sup>(١٤)</sup>. ويعيد مايرهوف ذكر الرسالة في بحثه (من الإسكندرية إلى بغداد. بحث في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب)<sup>(١٥)</sup>، حين يتحدث عن ستة عشر كتاباً لجالينوس في الطب، فيقول: (عناوين هذه الستة عشر كتاباً أوردها... بالعربية حنين بن إسحاق في رسالته عما ترجم من كتب جالينوس إلى السريانية، والعربية، وهي التي طبعها برجشتريسر، بمدينة ليبتسك، سنة ١٩٢٥)<sup>(١٦)</sup>.

ويشير ناشر الرسالة نفسه، أي برجشتراسر، إليها في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)، غير مرة، ويصرّح بعنوانها، وهو (رسالة حنين بن إسحاق، المتوفى سنة ٢٦٢هـ، إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه، وبعض ما لم يترجم)<sup>(١٧)</sup>.

وترد أيضاً في سياق مقدمة تحقيق (كتاب الأخلاق لجالينوس، الذي قام به بول كراوس. يكتب: (قال حنين بن إسحاق في رسالته إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه، وبعض

(١٣) المصدر السابق، ٤٥٧.

(١٤) تراث الإسلام، ص ٤٥٨، الهامش.

(١٥) يكتب د. عبدالرحمن بدوي، مترجم بحث مايرهوف، ما نصّه: (ظهر هذا البحث في سبتمبر سنة ١٩٣٠ في "محاضر جلسات الأكاديمية البروسية للعلوم. قسم الدراسات التاريخية الفلسفية، بالمجلد رقم ٢٣". ينظر: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ص ٣٧، الهامش الأول.

(١٦) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ص ٤٥.

(١٧) تنظر الصفحات: ٢٧ و ٤٢ و ٥٩ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٩٤.

ما لم يترجم)<sup>(١٨)</sup>.

ويشير إليها كارل بروكلمان في ترجمة حنين بن إسحاق، فيقول: (رسالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه، وما لم يترجم. نشرها برجستراسر)<sup>(١٩)</sup>.

أمّا فرانز روزنثال، فتحضر الرسالة في مواضع متعدّدة من كتابه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي)<sup>(٢٠)</sup>.

ونجدها، أيضاً، عند مريم سلامة كار في كتابها (الترجمة في العصر العباسي. مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة)، في مواضع مختلفة<sup>(٢١)</sup>.

ونرى لها ذكراً عند ألدوميلي في كتابه (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي)، فنراه يكتب: (زيادة على أنّ حنين بن إسحاق ترجم من اليونانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية كثيراً من كتب جالينوس (كان قد ترجم في سنة ٨٥٦ م، (٩٥) كتاباً إلى السريانية، و(٣٩) كتاباً إلى العربية)، فقد كتب سنة ٨٥٦ م، رسالة ناقدة في الترجمة (من السريانية إلى العربية) لكتب طبيب برجامون (جالينوس) التي عملت قبله، وقبل مدرسته، ونشر هذه الرسالة الشديدة الأهمية، برجشتراسر)<sup>(٢٢)</sup>.

ونعثر على ذكر آخر لها، عند جورج سارتون في كتابه (تاريخ العلم). يقول: (إنّ بحث حنين

(١٨) هذا التحقيق ومقدمته منشوران في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية. المجلد الخامس. الجزء الأول.

مايو. سنة ١٩٣٧، ص ١١، وما بعدها.

(١٩) تاريخ الأدب العربي، ٤/١٠٨.

(٢٠) تنظر الصفحات: ٧٣ و ٨٥ و ١١٣ و ١٣٢ و ١٣٦.

(٢١) تنظر الصفحات: ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ و ٤٧ و ٥٣.

(٢٢) ينظر كتاب ألدوميلي، ص ١٣٩.

في هذا الكتاب عرض مجمل للترجمة السريانية،  
والعربية لمؤلفات جالينوس<sup>(٢٣)</sup>.

واحتفى (مهرجان أفرام وحنين)<sup>(٢٤)</sup> بهذه  
الرسالة، فتكرّر ذكرها في أبحاث المستشرقين  
الذين شاركوا في ذلك المهرجان. فيسوق جيران  
تروبو في بحثه (حالية حنين بن إسحاق)، نصوصاً  
من الرسالة، تبين عدد الكتب التي ترجمها حنين،  
وتطلبه المستمر، والدؤوب في جمع نسخ مختلفة  
من المخطوط الواحد بغية المقابلة بينها<sup>(٢٥)</sup>.

ومثله فؤاد سزكين، في بحثه عن (مكانة حنين  
في تاريخ الترجمة)، إذ يعتبر هذه الرسالة (ذات  
أهمية قصوى)<sup>(٢٦)</sup>.

ومثلهما كونهارد شتروهماير في بحثه عن (حنين  
بن إسحاق الفقيه اللغوي)، الذي يذهب فيه إلى  
أننا من هذه الرسالة (تتضح لنا القواعد التي كان  
يسير حنين بمقتضاها، فهو لم يكن يسلم ترجمة  
سريانية، أو عربية لنص ما، ما لم يتمكن من جمع  
عدة نسخ لذلك النص، فيقارنها، ليس قراءة عامة،  
إنما يقرأها كلمة كلمة، ويطباقها)<sup>(٢٧)</sup>.

هذا عن المستشرقين، ولعلّ هناك غيرهم. أما  
الباحثون العرب، فقد نالت الرسالة من اهتمامهم  
الشيء الكثير، فنرى ذكرها متردداً في كتبهم،

(٢٢) تاريخ العلم، ٢/٣٠١.

(٢٤) عقد هذا المؤتمر - المهرجان في بغداد، سنة ١٩٧٤،  
برعاية مجمع اللغة السريانية. شاركت فيه ثلثة من  
علماء الوطن العربي، والعالم الغربي. تقدّموا بتسعة  
وثلاثين بحثاً باللغات العربية، والسريانية، والإنكليزية،  
والفرنسية، وصدرت أعمال ذلك المؤتمر تحت عنوان  
(مهرجان أفرام وحنين)، في كتاب بلغت صفحاته ست  
وستمائة صفحة.

(٢٥) مهرجان أفرام وحنين، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٢٦) المصدر السابق، ص ٤٤٩.

(٢٧) السابق، ص ٤٨١، وينظر كذلك: ص ٤٨٥ و ٤٨٨.

ودراساتهم، فيشير إليها كوركيس عواد في كتابه  
خزائن الكتب القديمة في العراق<sup>(٢٨)</sup>.

ويعتمد عليها د. يوسف حبي في مواضع مختلفة  
في دراساته، فهي حاضرة في بحثه عن (فلسفة  
بيت الحكمة)<sup>(٢٩)</sup>، ومقدمة تحقيقه كتاب (جوامع  
حنين بن إسحاق في الآثار العلوية لأرسطو)<sup>(٣٠)</sup>،  
وتكاد تصبح مصدراً لا غنى عنه في بحثه عن  
(سرجيس الراسعيني)<sup>(٣١)</sup>. فهو يعتمد عليها  
اعتماداً مباشراً، ومتكرراً في إحصاء كتب سرجيس،  
وما ترجمه من اليونانية إلى السريانية.

ويحتفي بها د. أحمد بن محمد الديبان في كتابه  
(حنين بن إسحاق. دراسة تاريخية لغوية).  
ويصفها بأنّها (رسالة قيّمة. كتبها حنين في  
الكتب المترجمة إلى زمنه ممّا اعتنى هو به، أو أحد  
تلاميذه، أو من تقدّمه من المترجمين السريان.  
ولهذه الرسالة قيمة علمية كبيرة؛ لأنّها بما حوته  
من معلومات، تعدّ ثباتاً، ووثيقة تصوّر جانباً  
واضحاً من نشاط حركتي الترجمة العربية،  
والسريانية، وتصحّ كثيراً من المعلومات حول  
الترجمة السريانية القديمة، والترجمة العربية،  
وتمدّنا بمعلومات دقيقة، وأحكام جيدة حول  
نشاط بعض المترجمين. ولهذه الرسالة قيمة  
خاصة لدراسة نشاط حنين بن إسحاق، ذلك  
أنّه ابتداء كتابة هذه الرسالة سنة (١١٦٧) من  
تاريخ الإسكندر اليوناني، كما ذكر هو ذلك، وهي  
توافق سنة ٢٤٢ للهجرة، وأتمّ كتابتها، مع ما

(٢٨) تنظر ص ٢٠٤ و ٢٠٧.

(٢٩) ينظر: بيت الحكمة العباسي. عراقة الماضي ورؤية  
الحاضر. أبحاث الاحتفالية المؤوية الثانية عشرة على  
تأسيسه في بغداد (١٢٠٠) عام، ص ٣٧٧ و ص ٣٧٨.

(٣٠) تنظر مقدمة تحقيق جوامع حنين، ص ٤٦.

(٣١) بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي. أكتوبر.

العدد الأول. سنة ١٩٨١، الصفحات: ٢٧٥ و ٢٨٢-٢٨٧.

أضاف إليها سنة (١١٧٥) يونانية، وهي توافق سنة ٢٥٠ للهجرة، وإذا علمنا أنّ حنينًا توفي سنة (١١٨٥) يونانية، وهي توافق سنة ٢٦٠ للهجرة على الأرجح، تبين لنا قيمة هذه الرسالة، وأنها حوت معظم أعماله التي اختص بها طبّ جالينوس<sup>(٣٢)</sup>.

ويستشهد بها د. الشحات السيد زغلول على أنّ حنينًا كان يعيد النظر في ترجماته السابقة، فيصلحها<sup>(٣٣)</sup>.

ويعتبرها د. أحمد عبدالحليم عطية (وثيقة مهمة، توضح الدور الذي قام به المترجم الأول في تعريب جالينوس)<sup>(٣٤)</sup>، ويعود إليها مرارًا<sup>(٣٥)</sup> في كتابه عن جالينوس.

ويشير إليها د. إبراهيم مدكور، وهو يتحدث عن حنين الذي ألف أسلوب جالينوس من جهة، وجمعه أصول كتبه اليونانية المتناثرة في أماكن متباعدة من جهة أخرى<sup>(٣٦)</sup>.

ويرجع د. رشيد الجميلي إلى هذه الرسالة ببيتها المخطوطة ليبين أنّ (حنين بن إسحاق كان ينقل من السريانية إلى العربية بعض المصنّفات التي كان إسحاق بن حنين قد ترجمها من اليونانية إلى السريانية)<sup>(٣٧)</sup>.

ويعتمد عليها الباحث سليمان السلامة في تقديمه مسردًا وافيًا لما ترجمه حنين من كتب

جالينوس<sup>(٣٨)</sup>. ونجد لها ذكرًا عند الأب الدكتور جورج شحاتة قنواتي، في كتابه (المسيحية والحضارة العربية)<sup>(٣٩)</sup>، وعبد الحميد العلوجي وعامر رشيد السامرائي في كتابهما (آثار حنين بن إسحاق)<sup>(٤٠)</sup>.

ولعلّ باحثين عربًا آخرين، غير من تقدّموا، أشاروا إلى هذه الرسالة، ومعهم ما مرّ سرده من أسماء المستشرقين. أقول: لعلّ غير أولئك، وهؤلاء نوهوا بهذه الرسالة، غير أنّ ما ذكرناه كافٍ للاطمئنان إلى أهمية هذه الرسالة، سواء من واقع تداولها بين أيدي الباحثين من جهة، وما قدّمته من تفصيلات مهمة عن حركة الترجمة، والمنهج الذي اتّبعه حنين، وأضرابه من المترجمين فيها من جهة أخرى.

- ٣ -

يخطّ حنين لنفسه منهجًا ذا شقين في رسالته هذه، هما: التقسيم، والترتيب. ويراد بالتقسيم، انضواء كلّ مجموعة من كتب جالينوس تحت قسم من أقسام الطب، وما يتصل به من العلاج، كأن تختصّ مجموعة من الكتب بـ(النبض)، وأخرى بـ(التشريح)، وثالثة بـ(التنفّس وعلله)، وهكذا. أمّا الترتيب، فهو وضع الكتب بتسلسل مقصود لتتحقق الفائدة من قراءتها، إذ يحتاج الثاني إلى قراءة الأول قبله بغية فهمه، ويحتاج الثالث إلى قراءة الأول، والثاني قبله لإدراك المبتغى، وهكذا<sup>(٤١)</sup>. وهو - بلا شك - مستفيد من

(٣٨) المترجمون السريان في العصر العباسي. رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ٥٩، وما بعدها.  
(٣٩) المسيحية والحضارة العربية، ص ١٦٠.  
(٤٠) آثار حنين بن إسحاق، ص ١٧٥-١٧٦.  
(٤١) يكتب ابن جلجل ما نصّه: (...ولجالينوس في الطب ستة عشر ديوانًا، كلها معلّقة بعضها ببعض). طبقات الأطباء والحكماء، ص ٤٢.

(٣٢) حنين بن إسحاق، ١/١٢١-١٢٢.

(٣٣) السريان والحضارة الإسلامية، ص ٢١٢.

(٣٤) جالينوس في الفكر القديم والمعاصر، ص ٣٣.

(٣٥) المصدر السابق، الصفحات: ١٣ و ١٤ و ١٥ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٣ و ٥١ و ٧٠ و ٧٥.

(٣٦) مهرجان أفرام وحنين. حنين بن إسحاق المترجم، ص ٢٤٧، وما بعدها.

(٣٧) حركة الترجمة في المشرق الإسلامي، ص ٢٥١.

جالينوس نفسه في هذا التوجّه المنهجي الصارم، ذلك أنّ جالينوس وضع بنفسه كتاباً، سرد فيه أسماء كتبه، سمّاه (فينكس)، ويترجمه حنين بـ(الفهرست)<sup>(٤٢)</sup>، كما (وضع مقالة أخرى، وصف فيها مراتب قراءة كتبه) (ص ١٤٩ من الرسالة). وفي لفظة منهجية جيدة، يقول حنين: (إنّ التماس تعرّف أمر جالينوس من جالينوس، أولى من التماس تعرّفه منّي) (ص ١٤٩)، وهذا صحيح. وكأنّ حنيناً يومياً إلى أنّ الاطلاع على كتب مؤلف معين، والتثبت منها، من قلم المؤلف نفسه، أدقّ، وأفضل من الاطلاع عليها بأقلام آخرين، ولاسيما أنّ جالينوس، في مقالته الثانية، فصلّ الحديث فيها عن (مراتب قراءة كتبه... وغرضه فيه أن يخبر كيف ينبغي أن ترتب كتبه في قراءتها، كتاباً بعد كتاب من أولها إلى آخرها) (ص ١٥٠)، وهذا ما يقوله حنين نفسه، ويقول أيضاً: (فينكس) (ترجمه إلى السريانية قبلي، أيوب الرهاوي... ثم ترجمته أنا إلى السريانية لداود المتطبّب، وإلى العربية لأبي جعفر، محمد بن موسى) (ص ١٥٠)، ويضيف هنا، فائدة جزيلة إلى ذلك الكتاب- المقالة، وهي: بما أنّ جالينوس (لم يأت في ذلك الكتاب على ذكر جميع كتبه (فقد أضاف إليه من تأليفه) مقالة ثالثة بالسريانية، بيّن فيها أنّ جالينوس قد ترك ذكر كتب من كتبه في ذلك الكتاب (أي فينكس)، فعدّد هو كثيراً ممّا رآه، وقرأه، ووصف السبب في تركه ذكرها) (ص ١٥٠)، فكانه أراد أن يقدّم صورة، هي أقرب

إلى الكمال، والتمام لما تركه ذلك الطبيب الشهير، لئلا يخلّ ذلك النقص بشيء من البناء العام الذي شيّده جالينوس، فينفسح المجال لضياع شيء من تلك الكتب، أو انتحالها، أو السطو عليها. وأمّا رسالة جالينوس في ترتيب كتبه، فقد (ترجمها ابني - يقول حنين- لبختيشوع، وأمّا إلى العربية، فترجمتها أنا لأبي الحسن، أحمد بن موسى، ولا أعلم أنّ أحداً ترجمها قبلي) (ص ١٥٠).

كتاب جالينوس، ورسالته موجودان بين يدي حنين، وغيره، ونُقلا إلى العربية، والسريانية، فماذا حصل؟ ويبدو السؤال مشروعاً؛ لأنّ حنيناً يصرّح أنّه فاء في كتابة هذه الرسالة إلى ما يحفظه من أسماء تلك الكتب، وما حوته من مباحث، بلا رجوع إلى كتاب، أو استعانة بمصدر. يجب حنين بكثير من الأسى، والشجن، شارحاً ما وقع له. يكتب: (بسبب فقدي جميع كتبي التي جمعتها كتاباً كتاباً في دهري كلّ، منذ أقبلت أفهم، من جميع ما جلته من البلدان، ثم فقدتها كلّها جملة، حتى لم يبقَ عندي، ولا الكتاب الذي ذكرته قبيل، وهو الذي أثبت فيه جالينوس ذكر كتبه)<sup>(٤٣)</sup> (ص ١٥٠). يتحدث حنين عن النازلة الكبرى التي حلّت به، وأسهمت المصادر، والمراجع في ذكرها، وهي التي وقعت في زمن الخليفة المتوكل (حكم سنة ٢٣٢ للهجرة إلى سنة ٢٤٧ للهجرة)، إذ سُجن، وصودرت كتبه، ثم أطلق

(٤٣) وثق حنين نفسه أمر ما وقع له في رسالة حفظها ابن أبي أصيبعة التي يقول عنها: (...وصحّ عندي من رسالة، وجدت حنين بن إسحق قد ألفها فيما أصابه من المحن، والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من أشرار أطباء زمانه المشهورين). وهي رسالة مهمة. ينظر: عيون الأنبياء، ١٤٩/٢، وما بعدها.

(٤٢) يكتب القفطي في (إخبار العلماء) ما نصّه: (...وقد ضمّ جالينوس أسماء تأليفه فهرستاً، يشتمل على عدّة أوراق، وذكر مرتبة قراءتها، ونبّه على طريق تعليمها، وهي تزيد على مائة تأليف)، ص ٩٩، وينظر: طبقات الأمم. صاعد، ص ٨٤، وعيون الأنبياء. ابن أبي أصيبعة، ١٣٦/١-١٣٧.

سراحه بعد مدة<sup>(٤٤)</sup>. وقد كتب حنين نفسه رسالة طويلة بين فيها (ما أصابه من المحن، والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من أشرار أطباء زمانه المشهورين)<sup>(٤٥)</sup>، وقد حفظها ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء)، وهي جديرة بالدرس، ولا شك في أن هناك سببين رئيسين لتلك النازلة، هما السياسة، والحسد<sup>(٤٦)</sup>، ونكتفي بهذا، لنصل إلى أن حنيناً كتب هذه الرسالة للمرة الأولى باللغة السريانية، بعد أن سأله (رجل من السريانيين أن يبين له ما ترجمه هو، وغيره من كتب جالينوس إلى السريانية) (ص ١٤٩)، ثم قام بترجمة تلك الرسالة إلى العربية، بعد إلحاح علي بن يحيى عليه، أن يوثق ما ترجمه هو، أو غيره من كتب جالينوس، وعمد إلى حفظه في المرتين: السريانية، والعربية، غير أنه في النسخة العربية أضاف (إلى ما ذكره في (النسخة السريانية)... شيئاً من كتب جالينوس، شدت عنه، مع ذكر سائر ما وجده من كتب القدماء في الطب) (ص ١٤٩). فما بين أيدينا، إذن، رسالة حنين إلى علي بن يحيى، مترجمة إلى العربية عن رسالة سابقة، كان قد كتبها بالسريانية، مع إضافات وجدها، بعد أن أسعفته الذاكرة، فلم يكن يكتب في المرتين إلا من حفظه حسب. وهذه - بلا شك - ذاكرة قوية، نادرة، حين تمكّنت من اختزان عناوين عشرات من الكتب، ومختصرات عن موضوعاتها، بذلك الترتيب المنهجي، وأسماء عشرات من المترجمين، واقتران

(٤٤) ينظر تفصيل هذه النازلة في: حنين بن إسحاق. د. أحمد بن محمد الديان، ٨٧/١، وما بعدها، ومسيحيو العراق. سهيل قاشا، ص ١٩١، مع مصادرهما.

(٤٥) عيون الأنباء. ابن أبي أصيبعة، ١٤٩/٢.

(٤٦) ينظر بحث د. فاروق عمر فوزي (حنين بن إسحاق والسلطة السياسية)، المنشور في كتاب (مهرجان أفرام وحنين)، ص ٤٢٣، وما بعدها، ففيه تفصيل مفيد.

اسم كلّ منهم بما ترجمه، بالإضافة إلى استحضر المناخ العام الذي أحاط بعملات الترجمة تلك، فنحن مدينون لتلك الذاكرة التي حافظت على هذه الوثيقة النادرة، وصانتها من الضياع، والاندثار. يحدّد حنين في افتتاح رسالته ثلاثة أهداف دعته إلى تدوين هذه الرسالة، وترجمتها إلى العربية، وذلك بعد الطلب منه، كما مرّ سابقاً. أولها: تعليمي. وثانيها: توثيقي. وثالثها: النفع المجتمعي. وبعد إنعام النظر في نصّ الرسالة، وترتيب النصّ الذي ضمّ هذه الأهداف، أمكن التوصل إلى سبع عشرة نقطة، تحوي في ثناياها هذه الأهداف، وثبتتها هنا، بعبارة حنين نفسه، وهي:

- ١- إنّ بنا، وسائر أهل الغرض، ممّن يقرأ الكتب السريانية، والعربية، حاجة إلى أن نعلم ما ترجم من هذه الكتب إلى اللسان السرياني، والعربي.
- ٢- وما لم يترجم.
- ٣- وما كنت أنا المتولّي لترجمته دون غيري.
- ٤- وما تولّي ترجمته غيري.
- ٥- وما سبقني إلى ترجمته غيري.
- ٦- ثم عدت فيه فترجمته.
- ٧- أو أصلحته.
- ٨- ومَنْ تولّي ترجمة كتاب من الكتب التي تولّي ترجمتها غيري.
- ٩- ومبلغ كلّ واحد من أولئك المترجمين في الترجمة.
- ١٠- ولن تُرجمت.
- ١١- ومَنْ الذين ترجمت أنا لهم كلّ واحد من تلك الكتب التي تولّيت ترجمتها.
- ١٢- وفي أيّ حدّ من سنّي ترجمته؛ لأنّ هذين أمرين (كذا، والصواب: أمران) قد يحتاج إلى معرفتهما، إذ كانت الترجمة إنّما تكون بحسب قوة المترجم للكتاب، والذي ترجم له.
- ١٣- وأيّ تلك الكتب ممّا لم يترجم إلى هذه الغاية، ووجدت نسخته باليونانية، وأيّها لم توجد له

نسخة، أو وجد البعض منه.

١٤- فإن هذا أمر يُحتاج إليه ليعنى بترجمة ما قد وجد منها.

١٥- ويُطلب ما لم يوجد.

١٦- (والحاجة قائمة) إلى كتاب يُجمع فيه ثبت ما يُحتاج إليه من كتب القدماء في الطب، ويتبين الغرض من كلّ واحد منها، وتعدد المقالات من كلّ كتاب، وما في مقالة منها من أبواب العلم، لتخفّ به المؤونة على الطالب لباب باب من تلك الأبواب عند الحاجة تعرض للنظر فيه، ويفهم في أيّ كتاب يوجد، وفي أيّ مقالة منه، وفي أيّ موضع من المقالة.

١٧- فلمّا أوردت (يخاطب علي بن يحيى) عليّ من هذا ما أوردت، علمت أنّك قد أصبت في قولك، وأنّك قد دعوتني إلى أمر يعمّني، وإياك، وكثيراً من الناس منفعته.

هذه هي الأهداف التي طمح حنين إليها في هذه الرسالة، وقد نجح في تحقيقها أيّما نجاح، فهو من جهة، بذل كتب جالينوس بين أيدي الراغبين بثلاث لغات، هي اليونانية، والسريانية، والعربية، فإذا علمنا أنّ هذه الكتب كانت عمدة تعلّم الطبّ، ودرسه في المجتمعات الإسلامية المتقدّمة، أدركنا المأثرة التي قدّمها حنين بهذا العمل. وبقيت كتب جالينوس معتمد الأطباء، والطلاب إلى وقت متأخر لشدة الحاجة إليها، فنرى - مثلاً - الطبيب، الحكيم، أحمد بن محمد بن أبي الأشعث (توفي سنة ٣٦٠ للهجرة) (عالمًا بكتب جالينوس، خبيرًا بها، متطلّعًا على أسرارها. وقد شرح كثيرًا من كتب جالينوس، وهو الذي فصل كلّ واحد من الكتب الستة عشر التي لجالينوس إلى جمل، وأبواب، وفصول، وقسمها تقسيمًا لم يسبقه إلى ذلك أحد غيره، وفي ذلك معونة كبيرة لمن يشتغل بكتب الفاضل جالينوس، فإنّه يسهل عليه كلّ ما

يلتمسه منها)<sup>(٤٧)</sup>، ومثله موفق الدين، عبداللطيف البغدادي (توفي سنة ٦٢٩ للهجرة)، الذي يذكر في سيرته الشخصية، التي حفظ ابن أبي أصيبعة أطرافًا منها، أنّه التقى في القاهرة بالطبيب، والفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون (توفي سنة ٦٥٠ للهجرة)، فوجده قد (عمل كتابًا في الطب، جمعه من الستة عشر لجالينوس، ومن خمسة كتب أخرى، وشرط أن لا يغيّر فيه حرفًا إلا أن يكون واو عطف، أو فاء وصل، وإنّما ينقل فصولًا يختارها)<sup>(٤٨)</sup>، ومثلهما الطبيب موفق الدين، يعقوب بن سقلاب (توفي سنة ٦٢٥ للهجرة) الذي كان (أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس، ومعرفتها، والتحقيق لمعانيها، والدراسة لها... ومهما سئل عنه في صناعة الطبّ من المسائل، والمواضيع المستعصية، وغيرها لا يجيب بشيء من ذلك إلا أن يقول: قال جالينوس، ويورد فيه أشياء من نصوص كلام جالينوس حتى كان يُتعبّ منه في ذلك)<sup>(٤٩)</sup>. فكأنهم يمثّلون الجانب التطبيقي ما في رسالة حنين هذه، وهو من جهة ثانية قدّم توثيقًا متينًا لهذه الكتب، يقوم هذا التوثيق على الألفة بهذه الكتب، والأنس بها، والعيش في رحابها سنوات. مع العناية، والمشقة في طلبها، والحصول عليها. واحتفظت هذه الرسالة بقيمتها التاريخية التي ظلّ الدارسون الأجانب، والعرب يعودون إليها، بحسبانها وثيقة معتبرة أبرزت جهود حنين، وغيره من المترجمين، وأزالت كثيرًا من الغبش عن حركة الترجمة في العصر العباسي، كما نلمس من جهة ثالثة، ذلك الحسّ الإنساني بالآخرين، والاهتمام بهم، من حيث نشر العلم، وعدم الاستئثار به، كما كان يصنع غيره، فهناك

(٤٧) عيون الأنباء. ابن أبي أصيبعة، ٢/٢٤٢.

(٤٨) المصدر السابق. طبعة نزار رضا، ص ٦٨٧.

(٤٩) عيون الأنباء. طبعة نزار رضا، ص ٦٩٧.

هذا الوعي المجتمعي الطاعني على تفكير حنين، يبتغي فيه نشر ما ينفع الناس، بغية استمرار هذه المهنة الجليلة، مهنة الطب، فكأنه بذلك يعيد ما قام به الطبيب الشهير بقراط الذي كان (أول من علم الغرباء الطب، وجعلهم شبيهاً بأولاده لما خاف على الطب أن يفنى من العالم)<sup>(٥٠)</sup>، وإذا علمنا أن (ملوك اليونانيين والعظماء منهم، لم يكونوا يمتنعون غيرهم من تعليم صناعة الطب، بل كانت الصناعة فيهم خاصة. يعلم الرجل منهم ولده، أو ولد ولده فقط، وكان تعليمهم بالمخاطبة، ولم يكونوا يدونونها في الكتب، وما احتاجوا إلى تدوينه في الكتب دونوه بلغز حتى لا يفهمه أحد سواهم، فيفسر ذلك اللغز الأب للابن)<sup>(٥١)</sup>. أقول: إذا علمنا ذلك كله، أدركنا جليل صنع بقراط، وبعده حنين حين نشر ما قام به من ترجمات لكتب جالينوس، وغيره على الملأ، إعماماً لفائدة المجتمع الذي عاش بين ظهرانيه تلك السنوات.

- ٤ -

ينهج حنين في هذه الرسالة منهجاً خاصاً في تقسيم كتب جالينوس، وترتيب قراءتها، ويبدو في هذا المنهج مخالفاً لمنهج من سبقه في التعامل مع كتب جالينوس الكثيرة. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن حنيناً أحصى لجالينوس سبعة وعشرين ومائة مصنف، تتراوح بين كتاب، ومقالة. ومن المؤكد أنه يعتمد في تقسيمه تلك الكتب، وترتيبها على كتاب جالينوس ومقالته المشار إليهما سابقاً، بالإضافة إلى اطلاعه على ما استقر عند مدرسة الإسكندرية من مواضع في ترتيب كتب جالينوس، إذ كانت مصنفاً أبقرط، وجالينوس، أساس منهج التعليم الطبي في مدرسة الإسكندرية... فقد اقتصر (٥٠) إخبار العلماء. القفطي، ص ٧٦، وينظر: تاريخ الحكماء. الشهرزوري، ١/١٩٨. (٥١) عيون الأنبياء. ابن أبي أصيبعة، ١/٤٢.

الاسكندرانيون على عشرين كتاباً في الطب. أربعة من كتب أبقرط، وستة عشر من كتب جالينوس<sup>(٥٢)</sup>، ويسوق ابن النديم أسماء أربعة شراح هم: اصطفن، وجاسيوس، وانقيلوس، ومارينوس، ويصفهم بأنهم (اسكندرانيون، وهم ممن فسر كتب جالينوس، وجمعها، واختصرها، وأوجز القول فيها، وسيما كتب جالينوس الستة عشر)<sup>(٥٣)</sup>، ويقول القفطي: (والإسكندرانيون هم الذين رتبوا بالإسكندرية دار العلم، ومجالس الدرس الطبي، وكانوا يقرأون كتب جالينوس، ويرتبونها على هذا الشكل الذي يُقرأ اليوم عليه، وعملوا لها تفاسير، وجوامع تختصر معانيها ويسهل على القاريء حفظها وحملها في الأسفار)<sup>(٥٤)</sup>. وينقل ابن أبي أصيبعة عن المختار بن حسن بن بطلان قوله: (إن الإسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر، وفسروها كانوا سبعة)<sup>(٥٥)</sup>، ويعلق على ما سبق بقوله: (وكان هؤلاء الإسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر لجالينوس في موضع تعليم الطب بالإسكندرية، وكانوا يقرؤونها على الترتيب، ويجتمعون في كل يوم على قراءة شيء منها وتفهمه)<sup>(٥٦)</sup>، ويشير حنين نفسه، قبل ابن أبي أصيبعة إلى هذا الأمر، فيقول

(٥٢) حركة الترجمة في المشرق الإسلامي. د. رشيد الجميلي، ص ٢٠٢.

(٥٣) الفهرست، ص ٤٦١.

(٥٤) إخبار العلماء، ص ٦٠.

(٥٥) و(٥) عيون الأنبياء، ٣/٢.

(٥٦) هذا نص مهم، يربط فيه حنين بين ماضي التدريس في الإسكندرية، وحاضره في بغداد، وهو معاصر له. أمّا كلمة (الاسكول) الواردة في النص، فهي (كلمة دخيلة. استعارها أدباء الآرامية من اليونان بمعنى المدرسة). ينظر: مدارس العراق قبل الإسلام. رفائيل بابو إسحق، ص ٥٩، الهامش الأول، ويذكر المؤلف في كتابه عدة معاهد تدريسية يطلق عليها (اسكول).

في رسالته بعد أن يسرد تلك الكتب الستة عشر: (فهذه الكتب التي كان يقتصر على قراءتها في موضع تعليم الطب بالإسكندرية، وكانوا يقرؤونها على هذا الترتيب الذي أجريت ذكرها عليه، وكانوا يجتمعون في كل يوم على قراءة إمام منها، وتفهمه، كما يجتمع أصحابنا اليوم، من النصارى في مواضع التعليم التي تعرف بالاسكول في كل يوم على كتاب إمام. إمام من كتب المتقدمين، وإمام من سائر الكتب، وإنما كانوا يقرؤونها الأفراد، كل واحد على حدته بعد الارتياض بتلك الكتب التي ذكرت، كما يقرأ أصحابنا اليوم تفاسير كتب المتقدمين)<sup>(٥٧)</sup> (ص ١٥٩) غير أن حنيناً لم يرتض هذا الاكتفاء بالستة عشر كتاباً بحسب، والترتيب الذي أجريت عليه، فراه في تنمة النص السابق يكتب: (وأما جالينوس فلم ير أن تقرأ كتبه على هذا النظام، لكنه تقدم في أن يقرأ من كتبه بعد كتابه في الفرق، كتبه في التشريح، ولذلك أنا مفتتح من ذكر كتبه بتعدد كتبه في التشريح، ثم متبعها بسائر كتبه على الولاء (بكسر الواو)، وعلى النظام، والترتيب الذي وضعه هو) (ص ١٥٩). وقبل الدخول إلى تقسيم حنين الشخصي، كتب جالينوس كما ورد في رسالته، نرى من الضروري الإشارة إلى ما ذكره ماكس مايرهوف من أن (كثيراً من مؤرخي العرب يتفقون في القول بأنه في الإسكندرية في العصر الهيليني المتأخر قد أُلّف مجموع كتب طبية وجوامع لستة عشر كتاباً من كتب جالينوس، ولا نعرف من المصادر اليونانية شيئاً عن هذه الجوامع، اللهم إلا اسمها. والواقع أنها ليست (١٦)، بل (٢٨) كتاباً: منها (٥) في التشريح، و(٦) في التشخيص، و(٤) في النبض، ولكل واحد منها جامع، واسم هذه الجوامع كلها:

(٥٧)

للمتعلمين، وقد تُرجمت مبكراً إلى السريانية والعربية، فتوزعها حنين، وتلاميذه، وترجموها أول ما ترجموا)<sup>(٥٨)</sup>، وإن كانت رسالة حنين تتفق مع مايرهوف في أن هذه الجوامع ليست ستة عشر جامعاً، بل أكثر، فهي لا تتطابق البتة مع الأعداد التي يذكرها، فبينما يذكر أن هناك خمسة جوامع في التشريح، نجد في الرسالة خمسة عشر كتاباً فيه، ويذكر أن هناك أربعة جوامع في النبض، نجد في الرسالة خمسة كتب فيه، وهكذا، اللهم إلا إذا كان مايرهوف يجعل من (الجوامع) شيئاً، و(كتب) جالينوس شيئاً آخر، فعند هذا ربّما تصدق هذه الأعداد على كلا الطرفين. ونجد ابن أبي أصيبعة، من جهة أخرى، ينقل رأي أبي الخير بن الخمار في صنيع الإسكندرانيين، فيقول: (أنا أظن أنهم قد قصروا فيما جمعه من ذلك؛ لأنهم يعوزهم الكلام في الأغذية، والأهوية، والأدوية، والترتيب أيضاً قصروا فيه؛ لأن جالينوس بدأ من التشريح، ثم صار إلى القوى، والأفعال، ثم إلى الاسطقسات)<sup>(٥٩)</sup>، ولعلّ هذا النص يؤشر إلى أن حنيناً لم ينفرد وحده بتلك الملاحظة على تقسيم كتب جالينوس، وترتيبها، ولهذا نجده يقدم لها

(٥٨) من الإسكندرية إلى بغداد، ص ٤٥، ويشير (مايرهوف) في الهامش إلى رسالة حنين هذه.  
(٥٩) عيون الأنباء، ١١/٢، وابن الخمار الوارد في النص، كان معاصراً لابن النديم، صاحب الفهرست. ولد سنة ٢٣١ للهجرة. من أفاضل المنطقيين. ينظر الفهرست، ص ٤٢٥-٤٢٦، وهو الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام. بغدادي. منطقي. ينظر إخبار العلماء. القفطي، ص ١٢٧، ويضيف ابن أبي أصيبعة أنه كان نصرانياً، عالماً بأصول صناعة الطب، وفروعها، خبيراً بغوامضها. ينظر: عيون الأنباء، ٢/٣٦٢-٣٦٤. والاسطقسات: جمع. مفردة أسطقس، وهو معرّب من الكلمة اليونانية (Stoichos)، وهي بمعنى عنصر، أو جزء أولي في المادة، أو المعرفة. ينظر: حنين بن إسحاق، د. أحمد الديبان، ٢/٦٠٠.

تقسيمًا، وترتيبًا مختلفين.

ولعلّ الذي يؤكّد ما سبق، ما نراه من أنّ حنينًا قد نَبّه في رسالته في مواضع أخرى فيها، غير الموضوع الذي سبق، على خلافه المنهجي مع الإسكندرانيين في أمر تقسيم، وترتيب كتب جالينوس. مثال ذلك، حديثه عن كتاب (الصناعة الطبية)، ويصفه بأنّه (مقالة، ولم يعنونه جالينوس إلى المتعلمين؛ لأنّ المنفعة في قراءته ليست تخصّ المتعلمين دون المستكملين، وذلك أنّ غرض جالينوس فيه أن يصف جميع جُمل الطب بقول وجيز، وذلك نافع للمتعلمين، وللمستكملين. أمّا المتعلم فكيفما يسبق، فيتصور في وهمه جملة الطب كله على طريقة الرسم، ثم يعود بعد ذلك في جزء جزء منه فيتعلم شرحه، وتلخيصه، والبراهين عليه من الكتب التي بالغ فيها في الشرح. وأمّا المستكمل فكيفما يقوم له مقام التذكرة لجملة ما قرأه، وعرفه بالكلام الطويل)، وكان حنين قد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية، والعربية، وهو يأخذ على الإسكندرانيين أشياء. يكتب: ( وأمّا المعلّمون الذين كانوا يعلّمون في القديم الطب بالإسكندرية، فنظّموا هذا الكتاب بعد كتاب الفرق، ثم من بعده في النبض إلى المتعلمين، وبعده المقاتلين (كذا، والصواب: المقاتلان) في مداواة الأمراض إلى أغلوقن، وجعلوها كأنها كتاب واحد ذو خمس مقالات، وعنونوها عنوانًا واحدًا عامًّا إلى المتعلمين) (ص ١٥١). ومثله كتاب جالينوس إلى أغلوقن، (فهذا الكتاب مقالتان، وعنونهما جالينوس في مداواة الأمراض إلى أغلوقن، ولم يعنونهما إلى المتعلمين، ولكنّ أهل إسكندرية أدخلوهما كما قلت قبيل، في عداد الكتب إلى المتعلمين، وغرضه فيهما أن يصف مداواة الأمراض التي تعرض كثيرًا، بقول وجيز لرجل فيلسوف سأله، عندما رأى من آثاره ما أعجبه، أن يكتب له ذلك الكتاب)

(ص ١٥٢). ولحنين وقفة لغوية نادرة فرّق فيها بين استخدام (اللام)، وبين استخدام (إلى) في عناوين الكتب، لأنّ هذه التفرقة ذات تأثير على مادة الكتاب من جهة، ومَن يوجّه إليه الكتاب من جهة أخرى. يكتب: (كتابه في العظام هذا الكتاب مقالة واحدة، وعنونه جالينوس في العظام للمتعلمين، ولم يعنونه إلى المتعلمين؛ لأنّ بين قوله عنده إلى المتعلمين، وبين قوله للمتعلمين فرقًا. وذلك أنّه إذا عنون كتابه إلى المتعلمين دلّ على أنّه ينحو في تعليمه ما يعلّم نحو قوة المتعلمين، وأنّ له تعليمًا من وراء هذا التعليم في ذلك الفن للمستكملين. وإذا عنون كتابه للمتعلمين دلّ ذلك على أنّ كتابه ذلك يحيط بجميع العلم بذلك الفن، إلاّ أنّ تعليمه هو للمتعلمين، وذلك أنّ جالينوس يريد أن يقدّم المتعلّم للطب تعلّم علم التشريح على جميع فنون الطب؛ لأنّه لا يمكن عنده دون معرفة التشريح أن يتعلم شيئًا من الطب القياسي. وغرض جالينوس في ذلك الكتاب أن يصف كيف حال كل واحد من العظام في نفسه، وكيف الحال في اتصاله بغيره، وكان وُضِع جالينوس له في وقت ما وضع سائر الكتب إلى المتعلمين) (ص ١٥٢-١٥٣). فالفرق هنا بين حرفيّ الجر: (اللام)، و (إلى) فرق معرفي، ووظيفي معًا، ذو أثر بيّن على مادة الكتاب، وترتيبه بين سائر كتب جالينوس، وهذا يشير إلى تضطلع حنين باللغتين اليونانية، والعربية، وإحساسه المرهف بالاختلاف الدقيق بين الحروف، ومواقعها، وتأثيرها على مجمل الكلام<sup>(٦٠)</sup>.

ويكتب: ( كتابه في العلل والأعراض، هذا الكتاب ست مقالات مجموعة، وهي من المقالات التي

(٦٠) وتنظر الصفحات: ١٥٣ و ١٥٦ و ١٥٩ من الرسالة.

خصوصاً، ونظم التدريس في مدرسة الإسكندرية العريقة، وما قدّمه علماءها لمنجز جالينوس الطبي من حيث تأليفهم تلك الجوامع لكتبه، ووضعها بين أيدي طالبي المعرفة، وترتيبها الترتيب الذي ارتضوه لها، وكان له رأيه الخاص في صنيع أولئك العلماء، ينبع - بلا شك - من سعة ذلك الاطلاع المشار إليه قبل قليل، وانتهاجه طريقاً خاصاً به، ولمدرسته في الترجمة، والطب معاً، تلك التي اجترحها سواء في بيت الحكمة في بغداد، أم في ظلال رعاة الترجمة الذين حذبوا على تلك الحركة، وقدّموا لها الشيء الكثير، فأثمرت تلك الثمار النافعة، لعلّ من أهمّها: الشخصية المتميزة. ومنجز الترجمة الكبير الذي وصل منه الشيء الكثير إلى يوم الناس هذا.

- ٥ -

مرّ فيما سبق أنّ رسالة حنين حوت ذكراً لسبعة وعشرين ومائة مصنف لجالينوس، وكان كلّ واحد منها يسبق بكلمتين هما (كتابه في) فنقرأ مثلاً: كتابه في حيلة البرء. كتابه في علاج التشريح، كتابه في الصوت، كتابه في العروق الضوارب، كتابه في آراء بقراط وفلاطن، وهكذا، فهل يعني هذا أنّه لم يكن يقصد تلك (الجوامع) التي صنعتها مدرسة الإسكندرية الطبية، بل يريد كتب جالينوس ذاتها، قبل أن تتعامل معها العقول، والأيدي بالشرح، والتفسير، والاختصار؟ فقه النص يشير إلى هذا بدليل قوله في النص السابق: (...فهذه الكتب التي كان يقتصر على قراءتها في موضع تعليم الطب بالإسكندرية)، ولو أراد مصطلح (الجوامع) لذكره صراحة، وخصوصاً أنّه كان دقيقاً في توظيف المصطلحات. وفرق

يحتاج إلى قراءتها ضرورة قبل كتاب حيلة البرء، ولم يجعلها جالينوس في كتاب واحد، ولا عنونها بعنوان واحد، ولكنّ أهل الإسكندرية جمعوها، وعنونوها بعنوان واحد، وهو كتاب العلل، كأنهم ذهبوا إلى أن وسموا الكتاب بأكثر ما فيه) (ص ١٥٤-١٥٥)، ويكتب أيضاً: ( كتابه في النبض، هذا الكتاب جعله جالينوس في ست عشرة مقالة، وقسمها بأربعة أجزاء، في كلّ واحد من الأجزاء أربع مقالات، وعنون الجزء الأول منها في أصناف النبض... وعنون الجزء الثاني في تعرّف النبض... وعنون الجزء الثالث في أسباب النبض... وعنون الجزء الرابع في مقدمة المعرفة من النبض... وقد كان سرجس ترجم من هذا الكتاب إلى السريانية سبع مقالات من كلّ واحد من الثلاثة الأجزاء الأولى مقالة مقالة. وهي المقالة الأولى من كل واحد من الأجزاء الثلاثة، وأربع مقالات الجزء الأخير، وظنّ كما ظنّ أهل الإسكندرية الذين عنهم أخذ أنّه كما تحرّى من الجزء الأول أن يُقرأ منه المقالة الأولى، ويقتصر عليها كما قال جالينوس؛ لأنّها تحيط بجميع العلم لما قصده في ذلك الجزء. كذلك الحال في سائر الأجزاء، وقد عظم خطأهم في ذلك، إلّا أن أهل الإسكندرية، كما اقتصروا من كل واحد من الأجزاء الثلاثة الأولى على مقالة مقالة، كذلك اقتصروا من الجزء الرابع أيضاً على المقالة الأولى منه، ولذلك قد نجد مصاحف كثيرة باليونانية إنما فيها هذه الأربعم مقالات فقط، وقد انتُخبت من كل واحد من تلك الأجزاء الأربعة، ونُسخت متواليّة) (ص ١٥٥-١٥٦). ولعلّه قد تبين لنا بعد ذلك العرض، سعة اطلاع حنين على التراث الطبي اليوناني عمومًا، وتراث جالينوس

منهجي كبير بين (الكتب)، و(الجوامع)<sup>(٦١)</sup>. وقد تمكّن الباحث من رصد سبعة عشر قسمًا، انضوت تحتها كتب جالينوس، وذلك بالاعتماد على مصنّفِي جالينوس المشار إليهما سابقًا، بالإضافة إلى تتبّع حنين الشخصي. وهذه الأقسام هي: الأول / مقدمات الطب. عشرون كتابًا. الثاني / التشريح. خمسة عشر كتابًا. الثالث / أفاعيل الأعضاء ومنافعها. خمسة عشر كتابًا.

الرابع / الكتب التي يحتاج إلى قراءتها قبل قراءة كتاب حيلة البرء، وهي التي يسمّيها (سابق العلم). واحد وخمسون كتابًا. الخامس / مقالات أخرى، منها ما نصّ فيه كلام

(٦١) توقّف محققًا كتاب (جوامع حنين بن إسحاق في الآثار العلوية لأرسطو) عند مصطلح (الجوامع) في مقدمة التحقيق، وممّا جاء هناك، قولهما: (... ولم يكتفِ حنين بالترجمة، بل نراه يلخّص كتب الأقدمين، أو يضعها على طريقة السؤال، والجواب المعروفة بطريقة الإسكندرانيين؛ تسهيلًا لطلبة العلم، أو يفسّر مضمونها جاعلاً لها شروحات وافية، كما كان يختار من عدّة مقالات لحكماء اليونان موضوعًا معينًا، وينسّقها على شكل مجاميع، والآثار العلوية من هذا النوع)، ص ٣٠، ويقولان أيضًا: (وقد اتّضح لنا بعد دراسة الكتاب أنّه (جوامع) في الآثار العلوية. استقاها حنين من مصنّفات سابقه، حرفيًا أحيانًا، وبتصرّف أحيانًا أخرى، ورتّبها كتابًا، منطقي التسلسل، حسن العبارة، جزيل الفائدة، وقد كان جلّ اعتماده في ذلك، على كتاب أرسطو في الموضوع عينه)، ص ٥٣. ومن هنا يتبيّن أنّ (الجوامع) غير (الكتب)، على وفق هذه التفرقة المنهجية، وينظر عن (الجوامع) أيضًا: طبقات الأطباء والحكماء. ابن جلجل، ص ٤٥-٤٦. تعليق المحقّق الأستاذ فؤاد سيد، ويعرّف د. الديبان، (الجوامع) بقوله: (هي الملخصات لتقريب مقصد الكتاب، والأخذ منه بالمهم من العلم). كتابه: حنين بن إسحاق، ١/١٠٧. وينظر أيضًا: المترجمون السريان في العصر العباسي. سليمان السلامة. رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ٣٤-٣٥، ففيها حديث عن (الجوامع) التي يعتبرها المؤلف طريقة ثالثة من طرق الترجمة، بالإضافة إلى الطريقتين الأخرين: الترجمة الحرفية، والترجمة بالمعنى.

أبقراط، ومنها ما بيّن فيه غرضه بنصّ الكلام. خمسة كتب. السادس / الكتب التي ينحو بها نحو أسقليبيانس<sup>(٦٢)</sup>. كتاب واحد. السابع / الكتب التي ينحو بها نحو أصحاب التجارب. ثلاثة كتب. الثامن / الكتب التي نحا فيها نحو أصحاب الفرقة الثالثة<sup>(٦٣)</sup>. مقالة واحدة.

(٦٢) أسقليبيانس طبيب يوناني قديم. سبق جالينوس بمدة طويلة، وهو إمام الطبّ، وأبو أكثر الفلاسفة، على حدّ قول ابن أبي أصيبعة. والكتاب الذي يذكره حنين لجالينوس عنه، عنوانه: كتاب في جوهر النفس ما هي؟ على رأي أسقليبيانس. ويترجم له ابن أبي أصيبعة ترجمة مطوّلة. ينظر: عيون الأنباء، ١/٢٧، وما بعدها، ويشير القفطي. إخبار العلماء، ص ١٣، أن اسمه يتردّد بثلاث صيغ هي: أسقليبوس، واسقلابيوس، واسقليبيانس. وينظر طبقات الأطباء والحكماء. ابن جلجل، ص ١١، وما بعدها، وتاريخ الحكماء. الشهرزوري، ١/٦٣ و ٨٠-٨٢ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢/٢٧٤ و ٢٨٨.

(٦٣) يشير صاعد في كتابه (طبقات الأمم)، ص ٩٢، والقفطي في كتابه (إخبار العلماء)، ص ٢٦، أنّ حنين بن إسحاق، والفيلسوف الفارابي يذكران أنّ (فلاسفة اليونانيين سبع فرق، سُمّيت بأسماء اشتقت لها من سبعة أشياء)، والفرقة الثالثة هي التي (سميت من اسم الموضوع الذي كان يعلم فيه الفلسفة؛ وهم شيعة كرسيفس، وهم أصحاب المظلة. سمّوا بذلك؛ لأنّ تعلّمهم كان في رواق هيكل مدينة أثينة). ويسمّيهم الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل)، ٢/١١٢، أهل المظالّ، جمع مظلة، وهم المصطلح عليهم بالفلاسفة الرواقين. ويذكرهم بتراند رسل في كتابه (حكمة الغرب)، ص ١٩٢، وما بعدها، وفيه: (... وكان مؤسس الحركة = الرواقية فينيقيًا، قبرصيًا اسمه زينون... وقد انتقل في شبابه الأول إلى أثينا... وهناك ظهرت ميوله الفلسفية... وأنشأ بعد مدة، مدرسة خاصة به، وكان من عاداته أن يحاضر في رواق بويكيلي (Stoa Poikile)، وهو ممرّ مسقوف، ومصبوغ بألوان متعدّدة، ومن هنا جاء اسم المذهب الرواقي (Stoicism)، ويضيف رسل: (... أمّا أول عرض منهجي للمذهب الرواقي، فيقال إنّه يرجع إلى كريسبوس (Chrysippus)، ٢٨٠ ق.م- ٢٠٧ ق.م)، وهو الذي يذكره صاعد، والقفطي، وسيرد ذكرهم أيضًا في القسم الخامس عشر القادم.

التاسع / الكتب التي لم يذكرها في الفهرست. ثلاثة كتب.

العاشر / كتبه في البرهان. كتاب واحد.

الحادي عشر / في القياسات الوضعية. لم أختبرها على ما ينبغي. ولا عرفت ما فيها. واتفق من كتابه في قوام الصناعات.

الثاني عشر / في الأخلاق. أربعة كتب.

الثالث عشر / مانحا فيه نحو فلسفة أفلاطن. ثلاثة كتب.

الرابع عشر / مانحا فيه نحو فلسفة أرسطوطاليس. أربعة كتب.

الخامس عشر / مانحا فيه نحو أصحاب الرواق. لم أقع على شيء منها.

السادس عشر / مانحا فيه نحو السوفسطاس. لم أقع على شيء منها.

السابع عشر / الكتب التي هي مشتركة لأصحاب النحو والبلاغة. مقالة واحدة.

وهناك بعض الإضاءات المنهجية التي تنتظم عمل حنين في هذه الأقسام، نأتي بها على النحو الآتي:

١- تبدو فكرة ترتيب الكتب واضحة ووضوحاً بيئاً، على وفق ما أراده جالينوس، وذلك من حيث التقديم، أو التوسط، أو التأخير، ومن خلال فكرة التقسيم نفسها، فكأن التقسيم وسيلة تؤدي غرضين هما: حصر كتب جالينوس تحت هذا التقسيم، والعمل على ترتيبها في داخل كل قسم بما يحقق النفع منها.

٢- أشاعت العملية السابقة قدرًا كبيراً من التنظيم، بحيث قدّم هذا القدر صورة مكتملة لكتب جالينوس، يرى حنين أنه من الواجب اتباعها في معاهد الدرس في بغداد، وغيرها من الحواضر، ومن هنا جاء تمسكه بها من جهة، ونقده من أعمال رأيه في اتخاذ تقسيم، وترتيب مغايرين لصنيعه من جهة أخرى. وهذان العملان:

التقسيم والترتيب ينضويان تحت إحساسه الحاد بالمجتمع، والحركة الثقافية فيه، بحيث قدّم له خلاصة تجربته الطويلة مع تلك الكتب بهيئة علمية، منهجية.

٣- يعمد حنين إلى تقديم شرح مختصر لموضوع كل كتاب، وما حوى من مقالات، كأنه يحقق بهذا الشرح موضوعية التقسيم، والترتيب اللذين اتخذهما، بالإضافة إلى الفوائد التي يقدمها كل كتاب. مثال ذلك قوله: (كتابه في البحران<sup>(٦٤)</sup>). هذا الكتاب جعله جالينوس في ثلاث مقالات، وغرضه فيه أن يصف كيف يصل الإنسان إلى أن يتقدم فيعرف هل يكون البحران أم لا، وإن كان فمتى يحدث، وبماذا، وإلى أي شيء يؤول أمره) (ص ١٥٧)، وعلى هذا المنوال، يسير مع بقية الكتب.

٤- يشير حنين في كثير من الأحيان في ثنايا الرسالة إلى ما يجب أن يقرأه متعلم الطب قبل الكتاب الذي يفصل الحديث فيه، وهو قانون منهجي، من الواجب الأخذ به؛ لأنه يحقق مبدأ التسلسل المعرفي المهيمن على تلك الكتب، ويؤدي إلى الإفادة التامة منها على وفق فكرة الانتقال من العام إلى الخاص، أي من التخصص العام إلى التخصص الدقيق. وهذا طقس متبع في كثير من العلوم العربية الإسلامية كما هو معروف. مثال ذلك حديثه عن

(٦٤) البحران من الكلمات الطبية، والأطباء يسمّون التغيّر الذي يحدث للعليل دفعة من الأمراض الحادة بحرناً. وهي تعني التغيّر الذي يصيب المريض فجأة من الأمراض الحادة، وهي ممّا أدخله الأطباء السريان في اللغة العربية، وهي من السريانية (Bouhrana)، وفيها أن معناها نوبة مرض. ينظر: حنين بن إسحاق. د. أحمد بن محمد الديبان، ٦٩/١ و ٥٥٧/٢، وينظر أيضاً: المترجمون السريان في العصر العباسي. سليمان السلامة. رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ١٨٠-١٨١.

ذلك التعريب، لما انتفع أحد بتلك الكتب؛ لعدم المعرفة بلسان اليونان. لا جرم، كلُّ كتاب لم يعرّبوه باقي على حاله، ولا ينتفع به إلاّ من عرف تلك اللغة<sup>(٦٥)</sup>، وسنقف عند هذه النقطة في فقرة قادمة، مخصّصة لها.

٦- لا يفوت حنين أن يشير إلى ما هو صحيح النسبة إلى جالينوس من الكتب وما هو منحول عليه، وهذه لفئة منهجية مهمة، غايتها الاعتماد على ما هو ثابت النسبة إلى جالينوس، واستبعاد ما هو مشكوك في نسبته إليه<sup>(٦٦)</sup>. ولا شك أن لحنين

(٦٥) وفيات الأعيان، ٢/٢١٧.

(٦٦) إنّ ظاهرة الانتحال، سواء أكانت كتبًا، كما هو الحال هنا، أم رسائل، أم أشعار، ظاهرة شائعة، لا تخلو منها ثقافة من الثقافات، وظاهرة الانتحال في الشعر العربي أشهر من أن يستقصى الحديث فيها. وما يهّمنا هنا، أن نشير إلى أنّ بعض الباحثين قد التفت إلى هذه الظاهرة، وخصوصًا في كتب الفلسفة، والطب، والسياسة، تلك الكتب الوافدة من ثقافات أخرى، غير عربية، مثل اليونانية، أو الفارسية، أو الهندية، وغيرها. فكثير من تلك الكتب كانت منحولة لعلماء، وفلاسفة لم يكونوا أصحابها، ومع هذا وفدت، وهي تنسب إلى غير أصحابها، فنرى د. محمد عبدالهادي أبو ريدة، مثلًا، في نشرته رسالة الفيلسوف الكندي، وعنوانها (كمية كتب أرسطوطاليس، وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة)، يقول: (...وتبيّن لنا هذه الرسالة مدى معرفة العرب، أول عهدهم بالفلسفة، بمؤلفات أرسطو، وهذا قد يتيح لنا الحكم على مقدار إلمامهم بفلسفته، وربما أعان على نقد الرأي الشائع بين الباحثين الأوربيين، وهو أنّ العرب، في أول الأمر، اعتمدوا على كتب منحولة على أرسطو، ذلك أنّ الكندي لا يذكر لأرسطو هذه الكتب في رسالته). ينظر: رسائل الكندي الفلسفية، ١/٣٥٩، وتنظر كذلك: ص ٨٠ (١٧). أمّا د. عبدالرحمن بدوي، فله اعتناء كبير بأمثال هذه الكتب المنحولة، وبذل جهدًا محمودًا، في محاولة تنقية هذه الكتب، ونسبتها إلى أصحابها الحقيقيين، متبّعًا في دراسته منهجًا يقوم على المقابلة بين المخطوطات العربية، وغير العربية، والاستعانة بالأحداث التاريخية المرافقة لتواريخ

كتاب جالينوس في الأسطقسات، فبعد تقديم شرح مختصر عن موضوعه، وأقسامه، يقول: (وهذا الكتاب من الكتب التي يجب ضرورة أن تقرأ قبل كتاب حيلة البرء) (ص ١٥٤)، ومثله حديثه عن كتاب جالينوس في العلل والأمراض، وهو ست مقالات، (وهي من المقالات التي يحتاج إلى قراءتها ضرورة قبل كتاب حيلة البرء) (ص ١٥٤)، فكأنّ كتاب (حيلة البرء) لا يمكن للمتعلّم استيعابه إلاّ بعد قراءة هذين الكتابين، لأنّه مبنيّ على ما فيها من مادة علمية، وهنا تتحقق فكرة التراكم المعرفي المبتدئيء بالأساس الذي يرتفع البناء فوقه، وهو ثابت راسخ. ولا شك في أنّ حنينًا يفيد من كتاب جالينوس نفسه (وعنوانه في مراتب قراءة كتبه، وهو مقالة واحدة، وغرضه فيه أن يخبر كيف ينبغي أن ترتّب كتبه في قراءتها كتابًا بعد كتاب من أولها إلى آخرها) (ص ١٥٠)، وهذا أيضًا ممّا يحسب لحنين حين يتخذ من المنبع الموثوق به موردًا عذبًا له.

٥- يلتزم حنين التزامًا، يشمل كتب جالينوس جميعها، بذكر ترجمة تلك الكتب إلى السريانية، والعربية، نقلًا عن اليونانية، لغة تلك الكتب الأصلية، مع ذكر مَنْ قام بالترجمة سواء أكان هو، أم غيره من المترجمين، بالإضافة إلى رأيه في ترجمة غيره، إن كانت جيدة، أم ضعيفة. وهذه نقطة جديرة بالتقدير، تقوي ما أشرت إليه سابقًا من الإحساس بالمجتمع، فالغرض من الترجمة نقل العلوم، والمعارف إلى مناخ ثقافي آخر، هو هنا المناخان العربي، والسرياني، بغية ترقية هذين المناخين، ورفدهما بالجديد الذي سيبنى عليه. ومن هنا تصدق قولة ابن خلكان: (وأكثر كتب الحكماء، والأطباء، فإنّها كانت كلّها بلغة اليونان فعزّيت، وكان حنين المذكور أشدّ الجماعة اعتناء بتعريبها، وعزّب غيره أيضًا بعض الكتب، ولولا

نسخ تلك الكتب، مع تحليل لغوي لأساليبها، وموازنة تلك الأساليب، بما عُرف عن أساليب مترجميها إلى العربية، وتحمل للوصول إلى نتائجه، مشقات متنوعة، كلفته الاطلاع على ما هو مخطوط، ومطبوع من المصادر، وفي أصقاع شتى. مثال ذلك كتاب (الخير المحض) الذي نُسب إلى أرسطو، فيكتب عنه: (...وإذن فقد عرفت أوروبا اللاتينية كتاب (الخير المحض) في الربع الأخير من القرن الثاني عشر (السادس الهجري)، وعرفته أنه لأرسطوطاليس، لا لأبرقلس، ولا لأيّ محدث، يهودي، أو مسلم. ومنذ هذا التاريخ أصبح يدرس على أنه من عمُد إلهيات أرسطوطاليس) (الأفلاطونية المحدثة عند العرب، ص ٢)، والكتاب، في حقيقته، للفيلسوف أبرقلس، كما أثبت هذا، د. بدوي، بعد فحص، وتمحيص. وكذلك كتاب (معادلة النفس)، إذ يسارع د. بدوي ليقول: (...أما هذا فكتاب منحول. نحلته إحدى النسخ (المخطوطة) لأفلاطون، ونحله سائرهما لهرمس) (المصدر السابق، ص ٣٨)، وبعد البحث، والمقابلة بين النسخ المخطوطة، يميل د. بدوي (إلى أنّ هذا الكتاب من العهد الهيليني المتأخر، أي قبل الإسلام، فيما بين القرنين الثالث، والخامس الميلاديين، وأنه أثر من آثار الهرمسية التي غزت الفكر اليوناني المتأخر، وأنّ كاتبه ليس بالضرورة نصرانيًا، بل يمكن أن يكون وثنيًا، زاهدًا، مؤمنًا بالأفلاطونية المحدثة، والغنوصية) (المصدر السابق، ص ٤٢). ويشير د. بدوي أيضًا إلى كتاب (الروابع) المنسوب إلى أفلاطون، ويقول عنه: (إنه كتاب منحول قطعًا، ص ٤٢). ويتحدث د. بدوي في كتاب آخر عن المعركة العقلية، الروحية الخالصة التي دارت بين (فريق المناصرين للثقافة، أو الحضارة الفارسية. وفريق المناصرين للثقافة، أو الحضارة اليونانية) (الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ص ٨-٩)، و(كان على أصحاب هذه المعركة أن يبرزوا مناقب الثقافة التي يتعصّب كلّ فريق لها، وقد عمدوا - من أجل هذا- إلى ترجمة آثارها إلى العربية كلّما وجدوها، كما اضطروا أحيانًا إلى اختراع الكتب، ونسبتها إلى من يتوهمون من أبناء الفرس، أو أبناء يونان إبرازًا لفضلهم، وتمجيدًا لهم. ومن هنا أخرجوا إلى الناس طائفة هائلة من المؤلفات المنحولة، نسبوها إلى أشخاص بارزين في التاريخ القومي للفرس، أو اليونان، أو إلى كبار رجال الفكر عند هؤلاء، أو هؤلاء: فنحلوا أفلاطون، وأرسطو مؤلفات، كما نحلوا هوشنج، وزرادشت آثارًا تكشف عن مدى تقدّم الفرس

مقاييس يفِيء إليها، حين يستبعد من الكتب ما يراه ليس لجالينوس. وقد تمكّن الباحث من التقاط بعض تلك المقاييس، منها خبرته الواسعة بأسلوب جالينوس الكتابي، وطول اشتغاله بتلك الكتب، وأنسه بها، وإنعام النظر في خصائصها اللغوية، وطرائق بنائها، فقد (ألف أسلوبه، وأصبح إذا ما قرأ نصًّا، استطاع أن يحكم هل هو من وضع جالينوس أو مَدسوس عليه)<sup>(٦٧)</sup>، بالإضافة إلى تمرّسه بطريقة عرض جالينوس مادّته العلمية، ونمط تقسيمه الكتاب الواحد على هيئة السؤال والجواب مثلًا، بحيث انطبعت في ذهنه، بمرور الزمن، مجموعة من المعالم، والصوى، هي أشبه بالمرتكزات، يجدها حين في كلّ كتاب من كتب جالينوس الثابتة النسبة إليه، هي - على الدقّة- شخصيته العلمية، وفرادته الكتابية. وقد ساعد حنينًا على التوصل إلى تلك المقاييس، والظفر بها، كثرة كتب جالينوس، واتخاذها مآءًا واحدًا، وتمييزه، بحيث كان حنين يضع نصب عينه تلك الخصائص، وهو يقرأ الكتاب باليونانية، قبل الشروع بترجمته إلى السريانية، أو العربية، فإذا اختلّ شيء من تلك

في الآداب، والسياسة، وأبرز الفريق اليوناني شخصيات تاريخية، ورومانية بارزة، وعلى رأسها جميعًا: الإسكندر المقدوني، وهادريانوس) (المصدر السابق، ص ٨-٩). ويقدم د. بدوي مسردًا لبعض تلك الكتب، كما يقوم بنشر كتابين من تلك الكتب، تمثّل فريق المناصرين للثقافة، أو الحضارة اليونانية. وإنّما أطلنا في هذا الهامش لسببين، أولهما: تبيان انتشار هذه الظاهرة انتشارًا ملحوظًا في التراث العربي، وهي بحاجة إلى دراسة مطوّلة، وثانيهما الكشف عن أهمية عمل حنين في هذا المضمار، من خلال الموازنة، وإحساسه المرهف بمصنّفات جالينوس من حيث التفرقة بين ما هو منحول عليه، أو صحيح النسبة إليه. (٦٧) حنين بن إسحاق المترجم. د. إبراهيم مذكور. بحث منشور في كتاب (مهرجان أفرام وحنين)، ص ٣٤٧.

المقاييس، أو انحرف واحد منها عن مساره، أعمل حنين الشك في نسبة الكتاب إلى جالينوس.

مثال ذلك، قوله عن واحد من الكتب المنسوبة إلى جالينوس: (وأما من الكتب التي نحا فيها نحو أصحاب الفرقة الثالثة من الطب، فلم أجد منها شيئاً خلا مقالة واحدة. لما ميّزتها علمت أنّها مفتعلة) (ص ١٧٥)، و(التمييز) هنا، لا يعدو أن يكون تمحيصاً، وتفتيشاً في الأسلوب، والمادة، تيقن بعدهما، أنّ ما بين يديه (مفتعل) على جالينوس.

ومثله، حديثه عن كتاب (تشریح العين). يكتب: ( هذا الكتاب أيضاً، مقالة واحدة، وعنوانه أيضاً باطل؛ لأنه ينسب إلى جالينوس، وخليق أن يكون لروفس، أو من هو دونه) (ص ١٦١). ويبدو أنّ شك حنين في نسبة هذا الكتاب إلى جالينوس، نابع من ضعف الكتاب، بما لا يتناسب مع مكانة جالينوس الطبية، ولعلّ ما يؤكّد هذا، هو قول القفطي عن روفس، إنّه (كان ضعيف النظر، مدخول الأدلة... وردّ عليه جالينوس، وأقام الحجج الواضحة على غلطه، والبراهين المحقّقة على خطأه، وسهوه)<sup>(٦٨)</sup>، فكيف إذا كان لمن هو دون روفس على حدّ قول حنين؟ ومثل السابق، قول حنين عن كتاب (تفسير جالينوس كتاب طبيعة الجنين): (هذا الكتاب لم نجد له تفسيراً من قول جالينوس، ولا وجدنا جالينوس ذكر في فهرست كتبه، أنّه عمل له تفسيراً، إلّا أنّه وجدناه قد قسم هذا الكتاب بثلاثة أجزاء في كتابه الذي عمله في علم أبقرات بالتشريح، وذكر أنّ الجزء الأول، والثالث من هذا الكتاب منحول، ليس هو لأبقرات، وإنّما الصحيح منه، الجزء الثاني، وقد فسّر هذا الجزء،

(٦٨) إخبار العلماء، ص ١٤٤.

جاسيوس<sup>(٦٩)</sup> الإسكندراني، وقد وجدنا لجميع الثلاثة الأجزاء تفسيرين، أحدهما سرياني موسوم بأنّه لجالينوس، وقد كان ترجمه سرجس<sup>(٧٠)</sup>، فلمّا فحصنا عنه، علمنا أنّه لبالبس، والآخر يوناني، فلمّا فحصنا عنه، وجدناه لسوارنوس<sup>(٧١)</sup> الذي من شيعة الموثوديقوا (ص ١٧٣)، فكأنّ خلق فهرست كتب جالينوس الذي صنعه جالينوس بنفسه، من هذا الكتاب سبب كافٍ للشك في نسبة الكتاب إليه، بالإضافة إلى (الفحص) الذي كشف

النسبة الصحيحة، وهي لاثنين، وليس لواحد. ولعلّ عدم معرفة حنين، أو غيره من المهتمين بالتراث الطبي اليوناني عموماً، وتراث جالينوس خصوصاً. أقول: إنّ عدم المعرفة تلك، مدعاة للشك في بعض الكتب التي تنسب إلى جالينوس، وذلك مثل كتابه في (اختصار كتاب مارنيس في التشريح) (ص ١٥٩)، وكتابه في (اختصار كتاب لوقس)<sup>(٧٢)</sup> في التشريح) (ص ١٦٠)، وكتابه (فيما خالف فيه لوقس) (ص ١٦١)، فنراه يعلّق عليها بقوله: (ولا رأيناه إلى هذه الغاية، ولا سمعت أحداً يخبر بأنّه رآه، أو علم مكانه)، أو (وما رأيت، ولا أعرف له أثراً)، أو (فلم أره، ولا بلغني أنّ أحداً رآه). وأمثال

(٦٩) يذكر ابن أبي أصيبعة، جاسيوس الإسكندراني مع ثلاثة آخرين هم الذين (فسّروا كتب جالينوس، وجمعوها، واختصروها، وأجزوا فيها القول). عيون الأنباء، ١/١٥٤.

(٧٠) سيأتي الحديث عنه.

(٧١) سورانوس، أو سوريانوس، حكيم وقته. شارح لكتب أرسطوطاليس. مذكور في جملة من تعرّض لهذا الشأن. ينظر: إخبار العلماء. القفطي، ص ١٥٣.

(٧٢) لوقس، أو لوقيس. رجل رومي، فيلسوف وقته، خبير بهذا النوع، مذكور في جملة الفلاسفة الذين تعرّضوا لشرح كتب أرسطوطاليس. ينظر: إخبار العلماء. القفطي، ص ٢٠٣.

هذه التعليقات النابعة من ثقة بالنفس من أنه هو، ومناخ الترجمة المنغم فيه، يكفيان للحكم على الشك في أي كتاب من كتب جالينوس، لم يعرفا له أثرًا، أو يسمعا به. ويقوي هذا الأمر، غياب ورود هذه الكتب في فهرست جالينوس، وهو، وإن لم يذكر هذا صراحة، فإن هذا السكوت يشير إليه. وينضوي تحت ما سبق من الشك، احتواء الكتاب المنسوب إلى جالينوس على معلومات، هي أقرب إلى الخرافة، مما لا يليق به، وهو الذي أقام طبه على التجربة، و(كان كثير الاهتمام بها، حيث كانت معلوماته التشريحية حصيلة أعماله المختبرية على الحيوانات)<sup>(٧٣)</sup>، بالإضافة إلى وجود أسماء أدوية، وعقاقير في الكتاب، لم تكن معروفة في زمن جالينوس، فهذا كله يدعو إلى الشك في نسبة أمثال هذه الكتب إلى جالينوس. يقول عن (كتابه في الأدوية التي يسهل وجودها) إن (هذا الكتاب مقالتان... ولم أجد لهذا الكتاب نسخة باليونانية أصلاً، ولا بلغني أنه عند أحد، على أنني قد كنت في طلبه بعناية شديدة، وقد ترجمه سرجس، إلا أن الحاصل في أيدي السريانيين في هذا الوقت فاسد، رديء، وقد أضيف إليه مقالة أخرى في هذا الفن نسبت إلى جالينوس، وما هي لجالينوس، لكنّها لفلغريوس<sup>(٧٤)</sup>، وقد رأيت تلك المقالة، بل ترجمتها مع مقالات لفلغريوس، لبختيشوع إلى السريانية، ولم يقتصر المفسرون للكتب على هذا، حتى أدخلوا

في هذا الكتاب، هذياناً كثيراً، وصفات بديعة<sup>(٧٥)</sup>، عجيبة، وأدوية لم يرها جالينوس، ولم يسمع بها قط) (ص ١٧٠). لم يكن حنين ليرضى أن ينسب هذا الكتاب إلى جالينوس، على ما فيه من (هذيان)، و(عجائب)، ويدلنا هذا النص أيضاً على وعي حنين التاريخي العميق بتطور الطب، وصنوف الأدوية المستخدمة في كل عصر، فكأنه يشير إلى أن بعض الأدوية الواردة في ذلك الكتاب لم يعرفها جالينوس، وعصره، بل استحدثت فيما بعد، وهي ومضة تفتح الباب، لإعادة النظر في منجز حنين في الترجمة، والتأليف معاً، بغية التقاط تلك الإشارات المهمة التي تضيء المعرفة بتاريخ الطب، وخصائص كل مرحلة من مراحلها المختلفة.

٧- ومما يكسب هذه الرسالة أهمية إضافية، أن حنيناً قد عمد فيها إلى إيراد كتب صحيحة النسبة إلى جالينوس. غير أنها لم ترد في (الفهرس) الذي صنعه جالينوس نفسه لكتبه، وهذه إضافة مهمة، تقوي ما سبق من حيث رسوخ قدم حنين في تراث جالينوس، ومعرفته الدقيقة به، ويقدم تحت هذا القسم ثلاثة كتب هي: محنة أفضل الأطباء - ما يعتقد رأياً- الأسماء الطبية، ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن حنيناً ترجم هذه الكتب إلى السريانية، ثم ترجمها غيره، بعد هذا، إلى العربية.

(٧٥) لا يريد حنين بكلمة (بديعة) هنا، ما هو شائع عن الرونق الحسن، والحسن الظاهر، والدهشة التي تصيب الناظر، بل يقصد إلى معناها المتداول في عصره، وهو (المحدث، العجيب). لسان العرب، ٦/٨. مادة (بدع)، فهذا المعنى تتلاءم مع (عجيبة) من جهة، وما ورد في الكتاب من غرائب، ومحدثات لم يعرفها جالينوس، وزمنه، من جهة أخرى وهذا يشير إلى تضلّع حنين بالعربية، وأسرار مفرداتها، مما مهد له الطريق إلى الترجمة، والخوض في مسالكها الوعرة.

(٧٣) جالينوس في الفكر القديم والمعاصر. د. أحمد عبدالحليم عطية، ص ٢٨، وينظر: عيون الأنبياء. ابن أبي أصيبعة، ٣٧/١.

(٧٤) فلغريوس، أو فليغريوس، طبيب يوناني، له تصانيف. ينظر: إخبار العلماء. القفطي، ص ١٩٨.

٨- لا يقتصر حنين في هذه الرسالة على إيراد كتب جالينوس الطبية حسب، وإن كانت تلك الكتب قد أخذت النصيب الوافر من الرسالة، بل يسوق كتبه الأخرى التي أَلْفها في حقول معرفية غير الطب، مثل البرهان، والقياسات الوضعية، والأخلاق، وفلسفة أفلاطون، وفلسفة أرسطوطاليس، والنحو، والبلاغة. فكأنه خطّط أن تكون هذه الرسالة صورة كاملة، أو قريبة من الاكتمال لانتقال كتب جالينوس برمتها إلى الثقافتين العربية، والسريانية، وما أحدثته، فيما بعد، من تغير، وتطور في تينك الثقافتين.

هذه هي الأقسام التي ذهب إليها حنين في تصنيف كتب جالينوس، وترتيبها، مع الملاحظات التي استقينها من واقع تلك الأقسام، وهي تثبت رسوخ قدم حنين في معرفة تلك الكتب، ودأبه الشديد على أن لا يغفل شيئاً منها، وقدرته الفائقة على التفرقة بين صحيحها، ومنحولها على جالينوس، فقدّم بذلك خدمة لا تنكر، لحركة الترجمة في عصره، وتاريخ الطب العربي معاً.

#### - ٦ -

يقدم حنين مسرداً مفصلاً ذا شقين، يعمد في الشق الأول إلى ذكر أسماء المترجمين الذين نقلوا شيئاً من كتب جالينوس، ويتضمّن الشق الثاني أسماء من تُرجمت لهم بعض تلك الكتب، أي من قام بتكليف أولئك المترجمين بالترجمة، وهو بهذا الرصد الدقيق، يضع أمام المهتم بتاريخ الترجمة في العصر العباسي، لوحة موثقة لأولئك المترجمين، ورعاية الترجمة، فإذا أضفنا إلى تلك اللوحة، ما صنعه حنين في أثنائها، حين بثّ في أحيان كثيرة رأيه في مترجم ما، أو نوعية ترجمته. أقول: إذا أضفنا هذا إلى ذلك، فسنحوز عند ذاك نصاً ثميناً، قلّت نظائره، وثقّ حركة الترجمة في أدقّ تفاصيلها.

يقف حنين في مقدمة المترجمين الذين ذكرهم، إذ بلغ ما ترجمه من اليونانية إلى العربية، والسريانية، خمسة ومائة كتاب، ومقالة، لعشرين راعياً من رعاة الترجمة، يقف في طليعتهم، أبو جعفر محمد بن موسى، وأخوه أبو الحسن، أحمد بن موسى، اللذان ترجم لهما واحداً وعشرين كتاباً، وتصدق هنا قول ابن النديم: ( دار حنين بن إسحاق البلاد في جمع الكتب القديمة... وأكثر نقوله لبني موسى<sup>(٧٦)</sup>. ومحمد، وأحمد المازان سابقاً، ومعهما أخوهما الثالث، الحسن، هم المعروفون ببني موسى، فهم أبناء موسى بن شاكر، وكانوا من متقدمي رعاية الترجمة في العصر العباسي<sup>(٧٧)</sup>، يأتي بعدهما، بختيشوع ابن جبريل، عشرة كتب، فسلمويه بن بنان، تسعة كتب، فداود المتطبّب، خمسة كتب، فجبريل بن بختيشوع، أربعة كتب، فعلي بن يحيى، ثلاثة كتب، ومثله إسحاق بن سليمان، وكتابان لكلّ من: يوحنا بن ماسويه، ومحمد بن عبد الملك الوزير، وعيسى بن يحيى، وكتاب واحد لكلّ من: شيرشوع بن قطرب، وإسرائيل بن زكريا المعروف بالطيفوري، وعلي الفيوم، ويحيى بن ماسويه، وأحمد بن محمد بن المدبر، وإبراهيم بن محمد بن موسى، وإسحاق بن سليمان، وإسحاق بن حنين، فهذه تسعة وستون كتاباً، أمّا البقية، أي ستة وثلاثون كتاباً، فلم يصرّح لمن ترجمها، ومن الممكن اعتبارها ضمن جهوده الخاصة في الترجمة، أو عمله في بيت الحكمة.

وكان حنين أميناً في ذكر غيره من المترجمين

(٧٦) الفهرست، ص ٢٩٤.

(٧٧) هناك تفصيل جيد عن بني موسى في كتاب د. رشيد الجميلي (حركة الترجمة في المشرق الإسلامي)، ص ١٦٣، وما بعدها، مع مصادره.

الذين شاركوا في تلك الحركة الكبيرة، وأميناً أيضاً في إيراد أسماء رعاة الترجمة الذين طلبوا من أولئك المترجمين ترجمة بعض كتب جالينوس. أمّا المترجمون فيقف في طليعتهم، حبّيش بن الأعسم، خمسة وثلاثون كتاباً، فأيوب الرهاوي، واحد وثلاثون كتاباً، فسرجس الرأس عيني، ثلاثة وعشرون كتاباً، فعيسى بن يحيى، تسعة عشر كتاباً، فأصطفن بن باسيل، ثمانية كتب، فإسحاق بن حنين، سبعة كتب، فابن سهدا، ثلاثة كتب، ومثله إبراهيم بن الصلت، ثلاثة كتب، أمّا بقية المترجمين، فترجم كلُّ منهم، كتاباً واحداً، وهم: جبريل بن بختيشوع، ويوسف الخوري، وعيسى بن علي، ويوحنا بن بختيشوع، ويحيى بن البطريق، وثيوفيل الرهاوي، وتوما الرهاوي، ومنصور بن أثناس، وثابت بن قرّة.

ويقف في مقدمة رعاة الترجمة، كما أشرنا سابقاً، ابنا موسى، محمد، وأحمد، فترجم للأول تسعة وعشرون كتاباً، وللثاني أربعة عشر كتاباً. يأتي بعدهما، بختيشوع، أربعة عشر كتاباً، فسلمويه بن بنان، اثنا عشر كتاباً، فيوحنا بن ماسويه، ثمانية كتب، فعلي بن يحيى، ثمانية كتب، ومثلها جبريل بن بختيشوع، ثمانية كتب، فداود المتطبب، أربعة كتب، فإسحاق بن سليمان، ثلاثة كتب، ومثله عيسى بن يحيى، ثلاثة كتب، ومثلها إسحاق بن حنين، ثلاثة كتب، فيوحنا بن ماسويه، كتابان، ومثله محمد بن عبدالمك، كتابان، أمّا الباقيون، فترجم لهم كتاب واحد، وهم: شيريشوع بن قطرب، وثيادوري أسقف الكرخ، وأليسع، وعيسى تلميذ حنين، وإسحاق بن سليمان، وإسحاق بن إبراهيم الطاهري، واصطفن، وأحمد بن المدبر، وإبراهيم بن محمد بن موسى، وداود، وثابت بن قرّة، وعلي الفيوم.

ونلاحظ على المسارد السابقة نوعاً من الحضور،

والغياب معاً، أمّا الحضور فنلمسه في وجود تلك الأسماء التي تحمّلت النهوض بحركة الترجمة في عصرها الزاهر، وهم من مشاهير المترجمين، وقد أسهبت المصادر، والمراجع في الحديث عنهم، ونوّهت بجهودهم، مع توثيق ما ترجموه من كتب جالينوس، وغيره من أطباء، وفلاسفة اليونان، والأمم الأخرى. وحضور آخر يتمثل في الاقتصار على ذكر رعاة الترجمة، وتكرار أسمائهم في كثير من الكتب المترجمة. وهنا يأتي الغياب، إذ لم نلاحظ حنيئاً يشير، ولو بلمحة سريعة إلى بيت الحكمة، باعتباره موضع الترجمة الأشهر، وموئله الطبعي في تلك الحقبة، بالإضافة إلى غياب أسماء ثلّة من الخلفاء العباسيين الذين أنشأوا ذلك البيت، ورعوه، وطوّروه فيما بعد، وزوّدوه بصنوف الكتب، وأرسلوا السفارات إلى أماكن مختلفة لجلب الكتب غير العربية منها، وخصوصاً أنّ حنيئاً عاصر ثمانية من الخلفاء العباسيين، هم: المأمون، والمعتصم، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعز، والمهتدي، والمعتمد، وكان مقرّباً من المأمون، والمتوكل خصوصاً<sup>(٧٨)</sup>، فلم نجده يشير إلى أنّه ترجم شيئاً من كتب جالينوس بناء على طلب أحد أولئك الخلفاء، كما هو موجود عند رعاة الترجمة الذين سبق ذكرهم. ولعلّ ما يؤكّد ما سبق، ما نراه من ذكر لأربعة من الخلفاء في سياقات مختلفة في الرسالة، وهم: المأمون، والمتوكل، والمعز، والواثق، غير أنّه ذكرّ عارض، يشير إلى زمن ترجمة كتاب معين من كتب جالينوس لا غير، وبلا أدنى تلميح إلى أنّ هذه الترجمة تمّت بطلب منهم، وهذه مسألة بحاجة إلى مزيد من الفحص، والدرس لصلتها الوثقى ببيت الحكمة من جهة، وطريقة العمل فيه من

(٧٨) ينظر تفصيل هذا الأمر في: حنين بن إسحاق. د.

أحمد بن محمد الديبان، ٨٥/١، وما بعدها.

جهة أخرى، وهو مالا يتسع له هذا البحث.

- ٧ -

لم يكتفِ حنين بتقديم تلك المسارد عن المترجمين الذين شاركوه في ترجمة كتب جالينوس، بل تجاوز هذا، فنهد إلى تبيان رأيه في بعضهم كـمترجمين، ونوعية بعض الترجمات التي قاموا بها، وكان غالباً ما ينثر تلك الآراء، وهي ممزوجة بثناء واضح على ترجماته، كأنه يبتغي من خلال تلك الموازنة، إبراز البون الشاسع بين ترجماتهم التي لم تُرَقْ له، وبين ترجماته التي تكاملت لغة، ومضموناً كما سنرى.

ينال المترجم سرجس الرأس عيني<sup>(٧٩)</sup>، نصيباً

(٧٩) تختلف المصادر العربية في كتابة هذا الاسم، فهو سرجس، أو سرجيس، أو سرجيوس، أو سرجبيس، أو سرجان. ينظر: الديارات. الشابشتي، ص ٢٢٨، الهامش الأول. وبالسريانية: سركيس. ينظر: بحث د. يوسف حبي عنه، ص ٢٦٥. وينسب إلى مدينة راس عين، أو رأس العين، وهي من مدن الجزيرة، بين حران، ونصيبين، ودينيسر، وهي إلى دنيسر أقرب. توفي سنة ٥٣٦ للميلاد. تلقى دروسه الأولى في مدرسة رأس العين، ثم قصد الإسكندرية حيث أتقن اليونانية إلى جانب لغته السريانية. ويوصف بأنه طبيب، وفيلسوف، ومترجم. بدأ ممارسة الترجمة منذ أيام دراسته بالإسكندرية، وهو (لما يزل شاباً، لذا أتت ترجماته هذه ضعيفة، ركيكة)، ونقل كتباً كثيرة إلى السريانية، وله شروح على بعض الكتب اليونانية. ويقول عنه ابن أبي أصيبعة: (...نقل كتباً كثيرة، وكان متوسطاً في النقل، وكان حنين يصلح نقله، فما وجد بإصلاح حنين فهو الجيد، وما وجد غير مصلح فهو وسط). ينظر عنه: السريان والحضارة الإسلامية. د. الشحات السيد زغلول، ص ١٤١، وبحث (العلوم والطب). ماكس مايرهوف، المنشور في كتاب (تراث الإسلام)، ص ٤٥٠، مع تعليق المترجم، والبحث الجيد للدكتور يوسف حبي، وعنوانه (سرجيس الراسعيني)، الذي تنقلت مصادره بين العربية والسريانية، والفرنسية، والألمانية، المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي. أكتوبر. العدد الأول. سنة ١٩٨١.

وافراً من اهتمام حنين في رسالته، فقد ذكره ثلاثاً وعشرين مرّة، وبين رأيه فيه، وفي بعض ترجماته عشر مرات، بينما يترك بقية المواضع غفلاً بلا تعليق، مكتفياً بالإشارة إلى الترجمة حسب. فنجد حنيناً يتعقبه، ويتعقب ترجماته في قوله مثلاً: (وقد كان ترجم هذه المقالة، أعني الصناعة الطبية، عدّة منهم سرجس الرأس عيني قبل أن يقوى في الترجمة) (ص ١٥١)، و(كتابه إلى أغلوقن... وقد كان سبقني إلى ترجمة هذا الكتاب سرجس إلى السريانية. وقد كان قوي بعض القوة في الترجمة، ولم يبلغ غايته) (ص ١٥٢)، و(كتابه في العظام... وقد كان ترجمه إلى السريانية سرجس ترجمة رديئة) (ص ١٥٣)، و(كتابه في الاسطقسات... وقد كان سبقني إلى ترجمته سرجس إلا أنه لم يفهمه فأفسده) (ص ١٥٤)، و(كتابه في القوى الطبيعية... وقد ترجم سرجس هذا الكتاب إلى السريانية ترجمة سوء) (ص ١٥٤)، و(كتابه في العلل والأمراض... وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس إلى السريانية مرتين، قبل أن يرتاض في كتاب الإسكندرية، ومرة بعد أن ارتاض) (ص ١٥٥)، و(كتابه في النبض... وقد كان سرجس ترجم من هذا الكتاب إلى السريانية سبع مقالات... وكان أقرب إلى الإحسان منهم (أهل الإسكندرية)، وذلك أنه انتبه من يومه، وأحس أنه قد يحتاج حاجة ضرورية إلى قراءة سائر مقالات الجزء الرابع فترجمها عن آخرها) (ص ١٥٦)، و(كتابه في أصناف الحميات... وقد كان سرجس ترجم هذا الكتاب ترجمة غير محمودة) (ص ١٥٧)، و(كتابه في حيلة البرء... وقد كان ترجم هذا الكتاب إلى السريانية، سرجس، فكانت ترجمته الست المقالات الأول، وهو بعد ضعيف، لم يقو في الترجمة، ثم أنه ترجم الثماني المقالات الباقية من بعد أن تدرب، فكانت ترجمته لها أصلح

من ترجمته المقالات الأولى (ص ١٥٨)، و(كتابه في منافع الأعضاء... وقد كان ترجم هذا الكتاب سرجس إلى السريانية ترجمة رديئة) (ص ١٦٤). والملاحظ في مجمل آراء حنين في سرجس أنه لم يرتضِ قسمًا كبيراً منها<sup>(٨٠)</sup>، وكأنَّ حنيناً ينبّه على أربعة أمور، يجب أن تتوفّر في المترجم، لم يرها موجودة عند سرجس. أولها إتقان اللغة المترجم منها، وثانيها إتقان اللغة المترجم إليها، وثالثها الذخيرة المعرفية بالعلم الذي يتعامل المترجم معه، ورابعها تراكم الخبرة، وكثرة الممارسة. ولعلَّ تعجّل سرجس في حوض معترك الترجمة، كان سبباً رئيساً في ذلك الضعف الذي أصاب ترجماته، إذ دخل هذا المعترك، وهو شاب، لم يقوَ عوده، ويستكمل أدواته. ومن الملاحظ أنَّ أغلب ترجمات سرجس، إن لم تكن كلها كانت من اليونانية إلى السريانية؛ لأننا لم نقع على إشارة من حنين تنبيه أنه نقل شيئاً من تلك الكتب إلى العربية، كما أنَّ بحث د. يوسف حبي الذي أحصى فيه ترجمات سرجس، وتألّفه التي بلغت ستة وخمسين كتاباً، ورسالة، تخلو تماماً من أية إشارة إلى أنه ترجم إلى العربية، أو ألف بها، بل يؤكد د. حبي أنه بسبب شهرة سرجس (نسبت إليه كتب، ومقالات

(٨٠) من الضروري الإشارة هنا إلى ما ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء، ١٤٦/٢، عن سرجس، وحنين، وهو: (...ووجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس، وقد نقلها من الرومية إلى السريانية، سرجس المتطبب، ونقلها من السريانية إلى العربية، موسى بن خالد الترجمان، فلما طالعت، وتأمّلت ألفاظها، تبين لي بين نقلها، وبين الست عشرة التي هي نقل حنين، تباين كثير، وتفاوت بين. وأين الألكن من البليغ، والثرى من الثريا، ولا شك في أنّ (الألكن)، و(الثرى) سرجس، و(البليغ) و(الثريا) حنين.

سريانية ليست له)<sup>(٨١)</sup>.

ويقف حنين عند مترجم آخر هو (ابن سهدا)، فيقول: (كتابه في الفرق... وقد كان ترجمه قبلي إلى السرياني، رجل يقال له ابن سهدا من أهل الكرخ، وكان ضعيفاً في الترجمة) (ص ١٥١)، ويرد ذكر (ابن سهدا) هذا، في الفهرس، ويسمّيه (ابن شهدي الكرخي)، ونقرأ عنه: (نقل من السرياني إلى العربي نقلًا رديئاً)<sup>(٨٢)</sup>، ويصفه ابن أبي أصيبعة بأنّه (لم يزل متوسطاً، وكان ينقل من السرياني إلى العربي)<sup>(٨٣)</sup>، ممّا يؤكد صواب رأي حنين فيه. ومع كثرة ذكر حنين، المترجم أيوب الرهاوي، إلّا أنّّه يأخذ عليه حين ترجم كتاب (علل التنفس)، أنّه ترجمه (ترجمة لا تفهم) (ص ١٦٢)، ومثله المترجم يوسف الخوري الذي ترجم كتاب جالينوس (الأدوية المفردة)، (ترجمة خبيثة رديئة) (ص ١٦٥)، وكذلك ثيوفيل الرهاوي في ترجمته كتاب (الحيلة في حفظ الصحة)، فقد ترجمه (ترجمة خبيثة رديئة) (ص ١٧١). ويبيد رأيه في ترجمة كتاب (الفصول)، فقد ترجمه أيوب ترجمة رديئة، ورام جبريل بن بختيشوع إصلاحه فزاده فساداً) (ص ١٧١)، كما يقول عن ترجمة كتاب (الأخلاق) إنّ من قام بترجمته (رجل من الصابئين يقال له منصور بن أثناس... وقد رأيت ترجمته، وما رضيته) (ص ١٧٦-١٧٧).

والملاحظ أنّ حنيناً، وهو يوجّه ذلك النقد اللاذع لأولئك المترجمين كما رأينا، يخصّ حبيش بن

(٨١) سرجيس الراسعيني، ص ٢٨٨، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي. أكتوبر. العدد الأول. سنة ١٩٨١، ويذكر مايرهوف أنّ (الترجمة في النصف الأول من القرن الثالث (التاسع الميلادي)، كانت غالباً إلى السريانية). التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ٥٨. (٨٢) الفهرست. ابن النديم، ص ٣٩٩.

الأعسم ببناء مستطاب، جاء فيه: (وحبيش رجل مطبوع على الفهم، ويروم أن يقتدي بطريقي في الترجمة إلا أنني لا أحسب عنايته بحسب طبيعته) (ص ١٥٧). ونحن نعلم أنّ حبيشاً هو (ابن أخت حنين... ومنه تعلّم صناعة الطب، وكان يسلك مسلك حنين في نقله، وفي كلامه وأحواله)<sup>(٨٤)</sup>، وكان حنين (يقدمه، ويعظمه، ويصفه، ويرضى نقله)<sup>(٨٥)</sup>. فهل لهذه القرابة، والتلمذة، والافتداء بحنين أثر في هذا التقديم، والتعظيم؟ ولعل الذي طرح هذا السؤال، هو ذلك النقد اللاذع في موازاة هذا الحنو، ممّا جعل شيئاً من الشك يداخل طرفي الحكم، ولا يمكن التثبّت، منهجياً، من تلك الأحكام إلاّ بدراسة تحليلية مفصلة لأعمال أولئك المترجمين، وبعضهم كان من مشاهير المترجمين، من جهة، وأعمال حبيش من جهة أخرى، وعند ذاك تتبيّن النتائج، وهي مستندة إلى أساس علمي متين، وهذا العمل محتاج إلى بحث منفصل.

ولعلّ مفتاح الحديث عن كثرة ثناء حنين على نفسه، وهو الشقّ الثاني من هذه الفقرة، يتمثّل في حديثه عن حبيش أنّه يقتدي بطريقه في الترجمة، كما مرّ قبل قليل. وفي هذا النص من الثقة بالنفس، والاعتداد بها، الشيء الكثير، ولذلك نرى حينئذٍ يسترسل فيقول عن ترجمته (كتاب العظام): (وقصدت في ترجمته لاستقصاء معانيه على غاية الشرح، والإيضاح) (ص ١٥٣)، ويقول عن (كتاب العضل): (وكلّ ما وصفته لك في كتاب العظام من أمر جالينوس، وأمر سرجس فافهمه عني في هذا الكتاب) (ص ١٥٣)، ويقول

(٨٣) عيون الأنبياء، ١٧٢/٢، وينظر أيضاً: أزمة المصطلح

العربي في القرن التاسع عشر. محمد سواعي، ص ٤٢.

(٨٤) عيون الأنبياء، ١٦٧/٢.

(٨٥) الفهرست، ص ٤٦٧، وينظر: إخبار العلماء،

ص ١٣٦.

عن (كتاب حيلة البرء) الذي قام بإصلاحه: ( وترجم هذا الكتاب... حبيش... ثم إنّه سألني بعد ترجمته... أن أتصفّح له المقالات الثماني الأخيرة، وأصلح ما وجدت من الأسقاط، فأجبتّه إلى ذلك وأجدت فيه) (ص ١٥٩)، ويقول عن (كتاب فيما وقع من الاختلاف في التشريح): ( وكان ترجم هذا الكتاب، أيوب الرهاوي، فأعياني إصلاحه، فأعدت ترجمته... إلى السريانية، وتخلّصته أحسن تخلّص) (ص ١٦٠)، ويقول عن (كتاب في تشريح آلات الصوت): (ولست أحفظ أترجمته ترجمة، أم أصلحته إصلاحاً، إلاّ أنّي أعلم تخلّصته بأجود ما أمكنني) (ص ١٦١)، ويقول عن (كتاب الامتلاء): ( وقد ترجمته... على نحو ما من عادتي أن أستعمله في الترجمة من الكلام، وهو أبلغ الكلام عندي، وأفحله، وأقربه من اليونانية، من غير تعدّد لحقوق السريانية) (ص ١٦٦)، ويقول عن (كتاب نوارد تقدمة المعرفة): (... وترجمه عيسى بن يحيى... ترجمة رضيتها) (ص ١٦٨)، فكأنّ جهاز المقابلة يشغل باتجاهين: ترجمات (خبيثة)، (ردية)، (متوسطة)، (فاسدة)، وما إلى هذا من الأوصاف، وترجماته (مستقصاة)، (واضحة) (ذات جودة عالية)، (متخلّصة بأحسن تخلّص)، (بليغة)، مع نوع من (الأبوة الفكرية) التي تصل إلى (التسلّط): (ارتضيتها)، (لم أرض بها)، في إيماة مغلفة أنّه المرجعية التي تفصل في أعمال غيره من المترجمين. وهذا ما أسعفتنا به النصوص، وما يكمن خلفها، ويستتر في قرارها، وعند الحفر تتبيّن النيات. وللمسألة وجه آخر، بمكنتنا ذكره هنا حين تعمل (النسبية) عملها، فيظهر الوجه، والقفا معاً، ويتمثّل هذا الوجه، وإن شئت القفا، في المكانة المتميزة التي وصل إليها حنين في عالم الترجمة، والمنزلة التي احتلّها بين أضرابه من المترجمين، وقد أسهبت المصادر، والمراجع في تبيان

تلك المكانة، والكشف عن تلك المنزلة، يساعد على رسوخ هذا الأمر، كثرة ترجماته، وتنوعها، وغزارة تأليفه، ومعالجتها موضوعات شتى، بالإضافة إلى دوره الكبير، والمموس في وضع المصطلح العلمي في اللغة العربية في هذا الزمن المبكر. أقول: إذا علمنا هذا كله، أفلا يحقّ له أن يفخر بما قدّم، وينشر ما صنع، وينوّه بما بذل من جهد، ومشقة. وقديماً قالت العرب: لا بأس على المرء أن يذكّر بنفسه، وتبقى القضية برمتها عرضة للأخذ والردّ، ولكلّ فريق قناعته، وهي الأخرى محتاجة إلى مزيد نظر.

- ٨ -

تضمّ رسالة حنين هذه، كثيراً من اللقطات التي تتغلغل في صلب عملية الترجمة، وآلياتها المتشعبة، ومن الممكن اعتبار تلك اللقطات شيئاً أقرب إلى المنهجيات العامة المتبعة في عملية الترجمة، وقد استحال تلك المنهجيات علامة على منجز حنين، ومدرسته في الترجمة، وهي تضيف فوائد جمّة لحركة الترجمة عموماً في العصر العباسي، ومقدار التطور الكبير الذي أصابها، بالإضافة إلى المناخ الذي تحرّكت فيه، فأنتجت تلك الثروة الهائلة من المترجمات، التي تمثّل عصر الازدهار الفكري، والتواصل المثمر بين الثقافات، على اختلاف لغاتها، وأديانها، وقناعاتها.

وبعد رصد تلك اللقطات، وجمع متناثرها، وضّمّ النظر إلى نظيره. أقول: بعد كلّ هذا، تمكّن الباحث من رصفها، وترتيبها؛ لتتنظّم تحت ثلاثة محاور هي: زمن الترجمة، وما قبل الترجمة، وإصلاح الترجمات السابقة. وسنقف عند كلّ محور بشيء من التفصيل.

يحرص حنين حرصاً واضحاً على إشراك مَنْ كتب له الرسالة من جهة، والقاريء العام من جهة أخرى، وذلك عبر تحديد الزمن الذي ترجم

فيه كتاباً معيناً، مرتبطاً بسنّي عمره، وتمدّرجاً في هذا التحديد، من بدايات معاناته الترجمة، ومروراً بأواسطها، وانتهاء إلى سنة كتابته الرسالة، وهي سنة ٢٥٠ للهجرة، وكان عمره حينئذ، ثمانية وأربعين عاماً. ولعلّه أنجز في هذه السنة ترجمة معظم أعمال جالينوس. وهذا أمر نادر، لا نجده كثيراً فيما بين أدينا، ممّا هو مدوّن عن حركة الترجمة، ممّا يكسب هذه الرسالة أهمية جديدة، وكأنّه أراد بذلك التحديد، الإيماء إلى مستوى ترجماته من حيث الضعف، والقوة، فما ترجمه، وهو في أول الحداثة، لم يستكمل أدواته بعد، يختلف عمّا ترجمه فيما بعد، حين استوتت بين يديه الأدوات، وخبر مسالك الترجمة، وسبر غور الأساليب الكتابية لمن يترجم كتبهم، وهو يصرّح بهذا، غير مرة. كأنّه يومئ إلى تنبيه شداة المترجمين على أنّ طريقتهم الذي اختاروه، فيه الكثير من المشقّات، ولا بدّ من الكدّ، والأخذ بالوسائل. وهذه لفظة منهجية تُحسب له، تؤدّي غرضين في آن واحد: أولهما، إحساسه الحاد بإمكاناته الذاتية المتواضعة في بداياته، وضرورة العمل الجادّ على تطوير هذه الإمكانيات، والبلوغ بها إلى مستوى يؤهله لنيل المرتبة التي يبتغيها، وسيتمثّل هذا في (الإصلاح) الذي سنرى شواهد له فيما بعد. وثانيهما، أثر هذه المراحل التي مرّ بها على نوعية ترجماته، فكأنّه يقدّم اعتذاراً مستتراً عمّا ترجمه في بداياته، وما شاب تلك الترجمات من ضعف، مستدرّكاً هذا الضعف، فيما جاء، بعد هذا، من ترجمات، اتّسمت بالقوة، والوضوح، وأداء المعنى، كما أراد صاحب الكتاب الأصلي قبل الترجمة.

وتسعفنا نصوص كثيرة، نثرها حنين في ثنايا الرسالة، تؤشّر إلى تلك المراحل المتتابعة، فعن مرحلة البدايات، يكتب مثلاً، عن كتاب جالينوس (القوى الطبيعية) ما نصّه: ( ثم ترجمته إلى

السريانية، وأنا غلام، قد أتت عليّ سبع عشرة سنة، أو نحوها لجبريل بن بختيشوع، ولم أكن ترجمت قبله إلا كتاباً واحداً سأذكره بعد) (ص ١٥٤)، ويكتب عن كتاب (أصناف الحميات) ما نصّه: (ترجمته لجبريل بن بختيشوع، وأنا غلام، وكان هذا أول كتاب ترجمته من كتب جالينوس إلى السريانية) (ص ١٥٧)، ويكتب عن مقالة (جوهر النفس ما هو؟ على رأي أسقليبيانس) ما نصّه: (...وقد كنت ترجمت هذه المقالة إلى السريانية لجبريل، وأنا حدث) (ص ١٧٤-١٧٥)، ويكتب عن كتاب (الفرق) ما نصّه: (ثم أني ترجمته، وأنا حدث، من أبناء عشرين سنة، أو أكثر قليلاً) (ص ١٥١). ولا يكتفي حنين بهذا الذكر المجرد، بل يسوق أسباباً، يبيّن فيها عدم رضاه عن تلك الترجمات، منها ما هو متعلّق به، ومنها ما هو راجع إلى النسخة التي يترجم عنها، فيكمل حديثه عن الكتاب الأول السابق، وهو (القوى الطبيعية)، فيقول: (وترجمته من نسخة يونانية، فيها أسقاط)، وعن الكتاب الثاني: (ثم أني، من بعد، ما استكملت في السنّ، تصفّحته، فوجدت فيه أسقاطاً، فأصلحتها بعناية، وصحّحته)، وعن المقالة الثالثة: (ولست أثق بصحتها؛ لأنّي ترجمتها مع هذا، عن نسخة واحدة، ليست بصحيحة)، وعن الكتاب الرابع: (ترجمته... من نسخة يونانية كثيرة الأسقاط). فهو هنا أشبه بالمؤرخ الذي يرصد البدايات، ويكشف ما أحاط بها، ليتجاوزها إلى ما بعدها.

وينتقل حنين إلى مرحلة متقدّمة، استحصدت فيها تجربته، وغزرت أدواته، ومنتنت اللغات التي تعلّمها، بحيث أعاد النظر في الكثير الذي ترجمه في المرحلة السابقة، بالإضافة إلى ترجماته التي تمّت في هذه المرحلة. ونراه يؤرّخ لهذه المرحلة ببعض الحوادث المقترنة ببعض الخلفاء العباسيين الذين

عاصروهم، فيقول عن كتاب (حيلة البرء) أنّه ترجم مقالات منه أيام (كنا بالرقّة في أيام غزوات المأمون) (ص ١٥٨)، وعن كتاب (تركيب الأدوية) أنّه ترجمه (في خلافة أمير المؤمنين المتوكل) (ص ١٧٠)، وعن كتاب (طبيعة الجنين) أنّه ترجمه (في خلافة المعتز) (ص ١٧٣)، وعن كتاب (المحرّك الأول لا يتحرك) أنّه ترجمه (في خلافة الواثق) (ص ١٧٨)، وهؤلاء هم أربعة من الخلفاء الثمانية الذين عاصروهم، كما ذكرنا سابقاً، ممّا يؤكّد على أنّه دخل هذه المرحلة المتقدمة، بدلالة تقريب أولئك الخلفاء له. ونجده في مواضع أخرى، يحدّد زمن ترجماته بمقدار عمره، مثل قوله: (...وكننت في الوقت الذي ترجمته، شاباً، من أبناء ثلاثين سنة، أو نحوها. وكانت قد التّأمت لي عدّة سالحة من العلم في نفسي، وفيما ملكته من الكتب) (ص ١٥١)، وهذا نصّ مهم، يبيّن صراحة، تكامل عدّته المعرفية، وأدواتها معاً، ممثلة بالخبرة المكتسبة، ومادة الترجمة الرئيسة، وهي الكتب اليونانية، والسريانية، ومثله، قوله: (منتهى شبابي) (ص ١٥٤ و ١٥٥)، أو قوله: (إلى أن كانت أيامنا هذه) (ص ١٥٥)، أو قوله: (وأصلحته من قريب) (ص ١٥٩)، أو قوله: (وترجمته أنا إلى السريانية منذ قريب) (ص ١٦٩)، أو قوله: (وقد ترجمت أنا، هذا الكتاب كلّه إلى السريانية منذ سنّيات) (ص ١٥٧). ولعلّه يريد، بتكرار إشارته إلى هذا الأمر، إثبات انتقاله إلى هذه المرحلة الجديدة التي فارق فيها، تلك المرحلة السابقة، وجاءت ترجماته في هذه المرحلة الجديدة على ما يرضي الذات، والموضوع معاً.

يتفرّع المحور الثاني من هذا البحث، وهو ما قبل الترجمة، إلى شقّين، فرضهما المنهج، وهما: جمع النسخ، وينضوي تحته، تصريح حنين امتلاكه النسخة اليونانية من الكتاب، والمقابلة

بين النسخ.

أمّا جمع النسخ، فهو موضوع يطول الحديث عنه، وذلك لارتباطه الوثيق بحركة الترجمة عموماً، إذ تعاون بعض من الخلفاء العباسيين، ورعاية الترجمة على جلب الكتب غير العربية من أماكن وجودها الأصلي<sup>(٨٦)</sup>، وهي التي أصبحت مادة الترجمة الرئيسية فيما بعد، ولم يكن لحركة الترجمة أن تزدهر بأيّ نجاح، لولا تلك الخطوة المنهجية السليمة. وتحمل حنين قسمًا كبيرًا من أعبائها. فقد حدّثتنا المصادر أنّه تجوّل في أماكن كثيرة بحثًا عن الكتب اليونانية خصوصًا، مثل الإسكندرية، وبلاد الروم، والجزيرة، وحلب، ودمشق، وغيرها<sup>(٨٧)</sup>، فنراه يذكر بشيء من الفخر؛ امتلاكه النسخة اليونانية من الكتاب الذي ترجمه، وهو ذكر متكرّر في ثنايا الرسالة، إذ نجد عبارات مثل: (وكانت نسخته عندي باليونانية)، أو (نسخته باليونانية من كتبي)، أو (نسخته في كتبي) تتكرّر عشرين مرّة، ولعلّه محقّ في هذا التكرار الممزوج بالفخر، لأنّ الحصول على تلك النسخ لم يكن بالأمر الهين، بل ترافقه مشقّات، وتطلّب، وسؤال، وهذا محتاج إلى جهد كبير، ووقت يطول، ويشير حنين في بعض مواضع من الرسالة إلى تلك المشقّات التي كابدها للحصول على نسخة، أو نسخ من كتاب معيّن، مثال ذلك

(٨٦) رافقت عملية جلب الكتب، أخبار كثيرة، هي أقرب إلى الأساطير، مثل الأحلام، والفساد الذي تحدّثه هذه الكتب عند دخولها بلدًا ما، والاحتفاظ بتلك الكتب عند من يملكها، خلف حيطان مبنية، وخزائن مغلقة، كأنّ ظهورها ينشر الشرّ. ولعلّ تداول مثل هذه الأخبار يدلّ من وجه آخر، على عمق التأثير الذي أحدثته تلك الكتب في المجتمع العربي الإسلامي.

(٨٧) ينظر: حنين بن إسحاق. د. أحمد بن محمد الديبان، ٨٠/١، مع تفاصيل أخرى عن حياة حنين، ورحلاته.

ما ذكره عن كتاب (البرهان). يقول: (هذا الكتاب جعله (جالينوس) في خمس عشرة مقالة... ولم يقع إلى هذه الغاية إلى أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان، نسخة تامّة باليونانية، على أنّ جبريل قد كان عني بطلبه عناية شديدة، وطلبته أنا غاية الطلب، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة، والشام كلّها، وفلسطين، ومصر إلى أن بلغت الإسكندرية، فلم أجد منه شيئًا إلاّ بدمشق، نحوًا من نصفه، إلاّ أنّها مقالات غير متواليّة، ولا تامّة (ص ١٧٦). فهاهو يتنقل بين تلك البلدان، فلا يفلح في العثور على الكتاب، حتى يعثر على نصفه في دمشق. ولنا أن نسأل كم من الوقت أنفق في تلك الرحلات المتباعدة؟ وكم من الجهد بذل للوصول إلى مقصده؟ وكم من المشقّات واجه، وهو يستخدم وسائل السفر البسيطة يومذاك؟ إنّ صاحب الرسالة التي آمن بها، ورسخ عنده صوابها هو الذي يقوم بذلك كلّها، وغايته نشر المعرفة، ونفع الناس. ومثله، قوله عن كتاب (النبض): (ولم يُترجم هذا الكتاب إلى هذه الغاية، ولا رأيت له نسخة باليونانية، إلاّ أنّ قومًا أتق بخبرهم، خبروني أنّهم رأوه بحلب، وقد طلبته هناك بعناية فلم أظفر به) (ص ١٦٧)، وقوله عن كتاب (الأدوية): (ولم أجد لهذا الكتاب نسخة باليونانية أصلًا، ولا بلغني أنّه عند أحد، على أنّي قد كنت في طلبه بعناية شديدة) (ص ١٧٠). وهكذا تستمرّ حياة حنين بين السعي للحصول على نسخ من الكتب، وترجمتها، وإصلاحها فيما بعد، إن كانت بحاجة إلى الإصلاح، تحقيقًا لما نذر له نفسه.

ومن الممكن اعتبار جمع نسخ متعدّدة من

أرسطوطاس في التشریح): (على أنني ما وقعت له إلا على نسخة واحدة، كثيرة الأسقاط، ناقصة من آخرها قليلاً) (ص ١٦٠)، وعن كتاب (أبيذيميا): (وقد كان وقع إلي هذا الكتاب، إلا أنه كان ينقص المقالة الخامسة من التفسير، وكان كثير الخطأ، منقطعاً، مختلطاً) (ص ١٧٢). ومن هنا، فإن توفر نسخ من الكتاب، يحل جانباً كبيراً من ذلك الإشكال الذي ابتليت به النسخة الوحيدة، وهي خطوة منهجية مهمة، ما تزال مطبقة في علم تحقيق المخطوطات العربي، بالإضافة إلى أنها تفتح الباب لإجراء عملية المقابلة بين النسخ، بغية الحصول على نسخة كالأصل، أو هي قريبة منه.

وأما المقابلة، فمن أوضح تعريفاتها أنها عملية عرض النسخ المتوفرة من المخطوطة الواحدة، بعضها على بعض، وتبين مواضع الاختلاف فيما بينها، والإشارة إلى هذا الاختلاف، وإكمال النسخة، أو النسخ الناقصة مما ضمته النسخة، أو النسخ الكاملة، وسدّ النقص في النسخة، مما حفظته النسخ الأخرى. وهي عملية شاقة، تقتضي الدقة، والصبر، والتتبع المتأنّ لمحتويات النسخ جميعها، بغية الخروج بنص واحد، مكتمل، كانت عملية المقابلة قد جبرت النقص، وسدّت الخلل. وهذا هو المتبع حتى اليوم في علم تحقيق المخطوطات العربي، وهو الذي أشرنا إليه في عملية جمع النسخ. فهي إذن، أي المقابلة، عملية موازنة مستقصية بين النسخ المتوفرة، هدفها الوصول إلى النص المطلوب: وضوحاً، واكتمالاً، وسلامة أسلوب. وقد اتبع حنين أسلوب المقابلة، في حال توفر نسخ متعددة للكتاب الواحد، وغيره

الكتاب الواحد، توطئة لعمل جليل سيقوم به حنين، ومدرسته فيما بعد، وهي المقابلة. فالملاحظ أنّ حنيناً لم يكن يكتفي بالحصول على نسخة وحيدة من الكتاب اليوناني، بل يرغب في جمع ما يقع تحت يده من نسخه؛ لأنه يعلم أنّ النسخة الوحيدة قد تكون ناقصة، أو كثيرة الخطأ بحيث لا تؤدي الغرض الذي أراده جالينوس منها، ولذلك تتظافر النسخ المتعددة من الكتاب لرأب الصدع، وإكمال الناقص، وتصحيح الخطأ. فنجد حنيناً، كثيراً، ما يشير إلى توفر نسخ من الكتاب الواحد بين يديه، مثال ذلك، قوله عن كتاب (الفرق): (ثم سألني بعد ذلك... حبش تلميذي، إصلاحه، بعد أن كانت قد اجتمعت له عندي، عدّة نسخ يونانية) (ص ١٥١)، وقوله عن كتاب (حيلة البرء): (وكانت عندي للثمانى المقالات الأخيرة منه، عدّة نسخ باليونانية) (ص ١٥٨)، وقوله عن كتاب (آراء بقراط وفلاطن): (وكانت له عندي، عدّة نسخ يونانية، شغلت عنها غيرها) (ص ١٦٣)، وقوله عن كتاب (قوى الأعذية): (وكانت قد اجتمعت له عندي باليونانية، عدّة نسخ) (ص ١٦٩)، وقوله عن كتاب (الحيلة لحفظ الصحة): (ولم يتهياً لي في وقت ما ترجمته إلا نسخة واحدة، ثم وجدت بعد، نسخة أخرى) (ص ١٧١). فهو يعلم، حاقّ العلم، تلك العيوب التي من الممكن أن تكون في النسخة الوحيدة، وهو الذي أشرنا إليه سابقاً، وغالباً ما يذكر حنين أنّه واجه هذه المشكلة، أي نسخة وحيدة فيها عيوب، فيقول عن كتاب (العروق الضوارب): (لم أثق بصحته؛ لأنّ نسخته كانت واحدة، كثيرة الخطأ) (ص ١٦٣)، وعن كتاب (علم

أكثر ممّا كان أسلافه يفعلون<sup>(٩١)</sup>. ولعلّ رأيي برجشتراسر، وروزنثال أقرب إلى الواقع العلمي، من حيث إفادة حنين من تقاليد المدرسة اليونانية – السريانية، غير أنّ العبرة في تطبيق ذلك التقليد؛ لأهميته، وتأثيره الواضح على الصورة الأخيرة التي سيستقرّ عليها الكتاب بعد ترجمته إلى العربية، أو السريانية، وقد أخذ حنين بذلك التقليد، ووظّفه في ترجمته، فأحسن التطبيق. ولذلك انتشر مصطلح (المقابلة) انتشارًا ملحوظًا في أنحاء الرسالة، ممّا يشير إلى اهتمام حنين به اهتمامًا خاصة من جهة، واقتناعه التام بفوائده الكبيرة التي يضيفها على النص المراد ترجمته من جهة أخرى، فقد ورد ذكره نصًّا، عشر مرات، وتزيد، مثال ذلك، قوله عن كتاب (الفرق): (وقد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك، بعضها ببعض، حتى صحتّ منها نسخة واحدة، ثم قابلت بتلك النسخة، السريانية، وصحّحت، وكذلك من عاداتي أن أفعل في جميع ما أترجمه<sup>(٩٢)</sup>، ثم ترجمته من بعد سنيّات

(٩١) المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣، وينظر كذلك: الترجمة في العصر العباسي. مريم سلامة كار، ص ٤١، وحنين بن إسحاق. د. أحمد بن محمد الديبان، ١/١٠٥. (٩٢) هذه العبارة، أي (...وكذلك من عاداتي أن أفعل في جميع ما أترجمه)، هي التي دعت برجشتراسر، وروزنثال إلى القول إنّ عملية المقابلة لم تكن من ابتداء حنين على حد قول الأول، أو لا نظنّ أنّ طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها من ابتكاره، على حدّ قول الثاني. ونرى، وبعد قراءة محايدة لنصّ حنين، أنّه لم ينسب شيئًا من الابتكار، أو السبق لنفسه، بل صرّح أنّه يقوم بهذه العملية، أي المقابلة فيما ترجمه كلّ، وهذا معروف عنه، وعن مدرسته، ولذلك فلا موجب لاعتراضهما على نصّ حنين لسبب واحد، نراه وجيهاً، وهو أنّ حنيناً لم يقل بهذا الابتكار، أو يقترب منه البتة، لا تصريحاً، ولا تلميحاً.

من المترجمين أيضًا، وخصوصًا من الذين انتموا إلى مدرسته، وتعلّموا منه. ويرى (برجشتراسر) أنّ عملية المقابلة (من تقاليد المدرسة اليونانية – السريانية... فقد كان معروفًا عند هذه المدرسة، أنّ مقابلة المخطوطات المختلفة لكتاب ما، هي الوسيلة الوحيدة لإقامة نصّ موثوق به)<sup>(٨٨)</sup>، ويضيف: (ونحن نعرف أنّ حنينًا قد استخدم قواعد المقابلة في عمله، ولكنّها لم تكن من ابتداعه شخصيًا، وهو حين سمّاها "عاداته شخصيًا"، كان يعني أنّه التزم تطبيق قواعدها، أكثر ممّا التزمها من سبقوه<sup>(٨٩)</sup>، ويذهب فرانز روزنثال هذا المذهب أيضًا، ولعلّه يفيد من (برجشتراسر) حين يكتب: (إنّ أسلم طريقة، لا، بل الطريقة الوحيدة؛ للتنبّ من صحة نصّ مخطوطة ما، هي معارضة المخطوطة المراد التحقّق من صحتها بمخطوطة، أو مخطوطات أخرى من نوعها معارضة دقيقة<sup>(٩٠)</sup>، ويضيف: (ونحن لا نظنّ أنّ طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها من ابتكاره، بل يجب أن يكون قد اقتبسها عن التقليد الذي كان معروفًا في حلقات الترجمة السريانية – اليونانية، وعندما يسمّيها طريقته "الخاصة"، فإنّه كان في الواقع يريد أن يقول لنا إنّّه كان يتبع هذا الأسلوب برتابة، ودقّة،

(٨٨) أصول نقد النصوص ونشر الكتب. برجشتراسر، ص ٩٣.

(٨٩) المصدر السابق، ص ٩٤.

(٩٠) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. روزنثال، ص ٧٢.

إلى العربية) (ص ١٥١). ومن الممكن اعتبار هذا النصّ أشبه بالتطبيق لما سبق، فهو يجمع نسخ الكتاب أولاً، ويقابل بعضها ببعض ثانياً، ويستقرّ على نسخة صحيحة، يثق بها، من تلك النسخ ثالثاً، ثم يعمد إلى تصحيح هذه النسخة رابعاً، ثم يعود ليقابل هذه النسخة اليونانية على نسخة سريانية أخرى خامساً، فإذا انتهى من ذلك كلّه، عمد إلى ترجمتها إلى العربية سادساً، فقدم بهذه النسخة العربية، كتاباً مقابلاً بأصوله اليونانية، مقابلاً بنسخته السريانية، قد استوفى الشرائط جميعها، ومن المؤكد أن تخرج النسخة العربية، بعد تلك السلسلة، واضحة، مفهومة، مؤدية الغرض منها. ومثل السابق، كتاب (حيلة البرء)، فيقول عنه: (وكان عندي للثمانى المقالات الأخيرة منه، عدّة نسخ باليونانية، فقابلت بها، وصحّحت منها نسخة، وترجمتها بغاية ما أمكنني من الاستقصاء، والبلاغة) (ص ١٥٨)، فهو لا يختار إلاّ النسخة المصحّحة، بعد المقابلة، لتكون معتمدة في الترجمة. ويقول عن كتاب (قوى الأغذية): (وكانت قد اجتمعت له عندي باليونانية، عدّة نسخ، فقابلت به، وصحّحته، وأخرجت جملة بالسريانية) (ص ١٦٩)، ويقول عن كتاب (الحيلة لحفظ الصحة): (ولم يتهيأ لي في وقت ما ترجمته إلاّ نسخة واحدة، ثمّ وجدت، بعد، نسخة أخرى يونانية، فقابلت به، وصحّحته من اليونانية) (ص ١٧١). وتظلّ المقابلة سمة بارزة من سمات ترجمات حنين، غايتها التجويد، والوصول بالنسخة السريانية، أو العربية إلى الغاية في الإتقان، والوضوح.

عليه مصطلح (الإصلاح). أو (التصحيح)، والأول أغلب. وهو إعادة النظر في نسخة من كتاب من كتب جالينوس، كانت قد تُرجمت سابقاً، سواء أقام هو بالترجمة، أم غيره من المترجمين، غير أنه لم يرتضِ ترجمتها، فيعيد قراءتها، ويدخل عليها من التعديلات، والتصويبات، ما يجعل النسخة (الجديدة)، تظهر بشكل أليق من الترجمة السابقة، إن من حيث المحتوى، وتوصيله، وإن من جهة الأسلوب، وكأنّه يقوم بشيء هو أقرب إلى النقد الذاتي من جهة، ونقد ترجمات الآخرين من جهة أخرى، وليست الغاية إلاّ ما سقناه سابقاً، وهو تقديم ترجمات تؤدي الأغراض المطلوبة منها على الوجه المكتمل. ولا ريب في أنّ عملية (الإصلاح) تلك، عملية شاقّة هي الأخرى، تقتضي صبراً، وأناة، لا ينهض بها إلاّ من استكمل أدوات الترجمة، وتمكّن من عدّتها المعرفية، وشعابها اللغوية. وهاهو حنين يشير إلى تلك المشقّات في بعض نصوصه، فيقول عن كتاب (حيلة البرء): (وقد كان ترجم هذا الكتاب إلى السريانية، سرجس... وهو بعد، ضعيف لم يقو في الترجمة... وقد كان سلمويه<sup>(٩٣)</sup> أذرائي<sup>(٩٤)</sup>

(٩٣) هو سلمويه بن بنان، طبيب المعتصم نصراني. حسن الاعتقاد في دينه، وافر العقل، جميل الرأي. كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب. ومّر بنا أنّه كان من رعاة الترجمة. توفي سنة ٢٢٥ للهجرة. ينظر عنه: إخبار العلماء القفطي، ص ١٦٠-١٦١، وعيون الأنباء. ابن أبي أصيبعة، ١٠٥/٢، وما بعدها، والمسيحية والحضارة العربية. د. جورج قنواتي، ص ١٥٥.

(٩٤) أذرائي: أغرائي، وحبّب الشيء إليّ. ينظر: لسان العرب، ٣٠١/٤. مادة (ذأر).

من عيوب معرفية، ولغوية. يساعد على تقوية هذا الإحساس، ما لحظناه من أنّ جلّ، إن لم يكن، كلّ ما قام به من إصلاح لمتجمات غيره من المترجمين، جاءت بطلب من بعض رعاة الترجمة، ويستثنى من هذا، ترجماته الشخصية التي فطن إلى ما فيها من عيوب، فعمد إلى إصلاحها، وهي زرع يده، ونتاج جهده، فالحركة فيها أسهل، والتغيير متاح، فالمادة مادته، والأسلوب أسلوبه، وإنّما هو التغيّر في عمق التجربة، ووفرة الأدوات، وما أدراك؟

ومع هذا الذي سبق، فقد اضطرّ حنين إلى اللجوء إلى عملية إصلاح بعض الكتب، سواء تلك التي ترجمها في مرحلة سابقة، أم ترجمها غيره. فمن كتبه المترجمة التي أصلحها، كتاب (الفرق)، إذ ترجمه حنين (وهو حدث، من أبناء عشرين، أو أكثر... من نسخة كثيرة الأسقاط، ثم سألني، بعد ذلك، وأنا من أبناء أربعين سنة، ونحوها، حبيش، تلميذي، إصلاحه... فصحّحته) (ص ١٥١)، وكتاب (القوى الطبيعية)، إذ ترجمه، وهو غلام (من نسخة يونانية، فيها أسقاط، ثم أني تصفّحته، إذ أحسنت، فوقفت منه على أسقاط آخر، فأصلحتها) (ص ١٥٤)، وكتاب (أصناف الحميات)، إذ ترجمه، وهو غلام أيضاً، ثم (أنّي - يقول - تصفّحته، من بعد ما استكملت في السنّ، فوجدت فيه أسقاطاً، فأصلحتها بعناية) (ص ١٥٧). ويتبيّن، ممّا سبق، أنّ حنيناً كان يُعمل نقداً ذاتياً لترجماته، كما سبقت الإشارة. فما ترجمه في وقت مبكّر من اشتغاله بالترجمة، لم يرتضه، بعد أن تقدّم به العمر، وتعمّقت خبراته، فعمد إلى الإصلاح، والتصحيح. أمّا الكتب التي

على أن أصلح له هذا الجزء الثاني، وطمع أن يكون ذلك أسهل من الترجمة، وأجود، فقابلني ببعض المقالة السابعة، ومعه السرياني، ومعني اليوناني، وهو يقرأ عليّ السريانية، وكنت كلّما مرّ بي شيء مخالف لليوناني، خبّرت به، فجعل يصلح حتى كبر عليه الأمر، وتبيّن له أنّ الترجمة من الرأس أرخى، وأبلغ، وأنّ الأمر يكون فيها أشدّ انتظاماً) (ص ١٥٨)، ويشير إلى هذه الصعوبة في نصّ آخر، عن كتاب (تعرف علل الأعضاء الباطنة)، وهو الذي ترجمه سرجس أيضاً، فيقول: (وقد كان بختيشوع ابن جبريل سألني تصفّحه، وإصلاح أسقاطه، ففعلت بعد أن أعلمته أنّ ترجمته أجود، وأسهل) (ص ١٥٥)، ومثله قوله عن كتاب (الأدوية المفردة): (وقد كان ترجم الجزء الثاني من هذا الكتاب، سرجس، وسألني يوحنا بن ماسويه، المقابلة بالجزء الثاني من هذا الكتاب، وإصلاحه، ففعلت، على أنّ الأصلح ترجمته) (١٦٥). فنرى حينئذٍ يفضّل الترجمة على الإصلاح بسبب تلك المشقّة التي هي من لوازمه، بالإضافة إلى ما يفرضه الإصلاح من تقييد حركة الذي يقوم بعملية الإصلاح؛ لأنّ النص المترجم السابق قد حبسه بين جنباته المختلفة. ومجال الحركة فيه محدود، ومن هنا تأتي الترجمة أسهل، وأكثر سلاسة، لما تمنحه للمترجم، وخصوصاً إذا كان من طراز حنين، من سعة في الحركة، وحرية في التصرف، لا تتوفّر في النصّ الذي يبتغي إصلاحه، مع الإحساس باليأس الذي كان يخامر حينئذٍ، من فائدة الإصلاح أصلاً، بسبب اضطراب النص المترجم السابق، وتمنّعه على الإصلاح لكثرة ما يعتوره

ترجمها غيره من المترجمين، وأصلحها هو، فيما بعد، فكثيرة، وهذا يؤكد على بلوغه تلك المرتبة من النضج، وهي التي أتاحت له القيام بعملية الإصلاح. ومن تلك الكتب، كتاب (البحران) الذي يقول عنه: ( وقد كان ترجمه سرجس، وأصلحته منذ سنين، وبالغت في تصحيحه ليوحنا بن ماسويه) (ص ١٥٧)، وكتاب (فيما وقع من الاختلاف في التشریح). يقول عنه: (وكان ترجم هذا الكتاب، أيوب الرهاوي، فأعياني إصلاحه، فأعدت ترجمته ليوحنا بن ماسويه، وتخلصته أحسن تخلص) (ص ١٦٠). ألا يشير هذا النص إلى اليأس من إصلاح هذا الكتاب، ذاك الذي أشرنا إليه قبل قليل؟ فهو غير مستجيب للإصلاح، مما دعاه إلى إعادة ترجمته، وكتاب (حركة الصدر والرثة)، ويقول عنه: ( ولم أترجم أنا هذا الكتاب إلى السريانية، ولا أحد قبلي، ولكن أصطف بن بسيل ترجمه إلى العربية لمحمد بن موسى، ثم سألني محمد بن موسى، المقابلة به، وإصلاح سقط إن كان فيه، ففعلت) (ص ١٦١-١٦٢)، وكتاب (رداءة التنفس) الذي يكتب عنه: (وكان ترجمه إلى السريانية، أيوب، وقابلت أنا به، اليوناني، وأصلحته لولدي) (ص ١٦٨)، وكتاب (الفصول) الذي يقول عنه: (وقد كان ترجمه أيوب، ترجمة رديئة، ورام جبريل بن بختيشوع إصلاحه، فزاده فسادًا، فقابلت به اليوناني، وأصلحته إصلاحًا شبيهاً بالترجمة) (ص ١٧١)، وغيرها، وهو ما يؤثر إلى جهد إضافي بذله حنين في سياق حركة الترجمة الكبيرة، غير مكتفٍ بالترجمة، فعوضها بالإصلاح، رغبة منه في سيادة الترجمات الدقيقة، الواضحة، الثابتة

النسبة إلى جالينوس، لتقوم الحركة الثقافية في ذلك العصر الزاهر على أسس راسخة، ودعائم ثابتة.

- ٩ -

هذه هي رسالة حنين بن إسحاق، النصراني، النسطوري، المولود في مدينة الحيرة سنة ١٩٤ للهجرة، والمتوفى سنة ٢٦٠ للهجرة، إلى علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة، في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه، وبعض ما لم يترجم، أتى فيها بتفصيل قل نظيره على جانب مهم من جوانب منجز الترجمة في العصر العباسي، لم يلتفت إليه الكثيرون ممن اهتموا بالكتابة عن ذلك المنجز، وهو نقل كتب الطبيب الشهير جالينوس، إلى السريانية، والعربية، وما رافق ذلك النقل من مشقات، وتفصيلات، وأحداث. ومن المعلوم أن حنينًا (كان يترجم كثيرًا، ويؤلف كثيرًا). وكان أحيانًا، يضع الشرح لما ترجم، ويلخص المطولات، ويصحح تراجم السابقين. وعلى الجملة، فقد كان حركة علمية دائمة، قل أن تُبارى، بل ظلت حركته التي أنشأها تعمل عمله بعد وفاته، على يد ولديه، وتلاميذه<sup>(٩٥)</sup>. ومن هنا تكتسب هذه الرسالة أهمية خاصة من عدة وجوه، منها ما هو متعلق بشخصية حنين نفسه، وقضائه العمر في الدرس، والترجمة، ومشاغله، ومنها ما خص به هذه الرسالة باهتمام متميز من حيث طول الرسالة، وكتابتها من حفظه، بلا استعانة بكتاب، أو رسالة، ومنها تلك الدقة في إيراد عناوين

(٩٥) ضحى الإسلام. أحمد أمين، ١/٢١٩.

- الكتب، وأسماء المترجمين، ورعاة الترجمة، ومنها حديثه عن منهجيات الترجمة التي اتبعها. فلا غرو، بعد ذلك كله أن تصبح وثيقة نادرة من وثائق الترجمة في العصر العباسي، وتنال ذلك الاهتمام الكبير من طرف الباحثين، عرباً كانوا، أم مستشرقين. ونحسب أن الاهتمام بها سيظل مستمراً، بحسبان تمثيلها خير تمثيل، ما كان عليه عصر حنين من تسامح، وانفتاح على ثقافات الآخرين، وسعة في حرية البحث، والتفكير معاً.
- المصادر والمراجع**  
**أولاً: الكتب:**
- آثار حنين بن إسحاق. عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد العلوجي. دار الحرية للطباعة. بغداد، ١٩٧٤م.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء. القفطي. علق عليه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- أزمنة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر. مقدمة تاريخية عامة. محمد سواعي. المعهد الفرنسي للدراسات العربية. دمشق، ١٩٩٩م.
- أصول نقد النصوص ونشر الكتب. جوتهلر بروجستراسر. أعدها وقدم لها د. محمد حمدي البكري. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة، ٢٠١٥م.
- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام. حققه وقدم له عبدالرحمن بدوي. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة، ١٩٥٤م.
- الأفلاطونية المحدثة عند العرب. حققها وقدم لها عبدالرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية.
- القاهرة، ١٩٥٥م.
- تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان. نقله إلى العربية د. السيد يعقوب بكر ود. رمضان عبدالتواب. دار المعارف بمصر. الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- تاريخ الحكماء. نزهة الأرواح وروضة الأفراح. شمس الدين الشهرزوري. تحقيق د. عبدالكريم أبو شويرب. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
- تاريخ العلم. جورج سارتون. الترجمة العربية بإشراف د. إبراهيم بيومي مذكور وآخرين. دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- تراث الإسلام. تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس أرنولد. عرّبه وعلّق حواشيه جرجيس فتح الهس. دار الطليعة. بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية. دراسات لكبار المستشرقين. ألّف بينها وترجمها عبدالرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، ١٩٤٠م.
- الترجمة في العصر العباسي. مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة. مريم سلامة-كار. ترجمة د. نجيب غزاوي. وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨م.
- جالينوس في الفكر القديم والمعاصر. د. أحمد عبدالحليم عطية. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، ١٩٩٩م.
- جوامع حنين بن إسحاق في الآثار العلوية لأرسطو. تحقيق وتقديم د. يوسف حبي وحكمت نجيب. من مطبوعات مجمع اللغة السريانية.

- بغداد، ١٩٧٦ م.
- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة. د. رشيد الجميلي. دار الحرية للطباعة. بغداد. العراق، ١٩٨٦ م.
- حكمة الغرب. برتراند رسل. ترجمة د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة. الرقم (٣٦٤). دولة الكويت، ٢٠٠٩ م.
- حنين بن إسحاق. دراسة تاريخية لغوية. د. أحمد بن محمد الديبان. من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض، ١٩٩٣ م.
- خزائن الكتب القديمة في العراق. كوركيس عواد. مطبعة المعارف. بغداد، ١٩٤٨ م.
- دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب. د. عبدالرحمن بدوي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م.
- الديارات. الشابشتي. تحقيق كوركيس عواد. دار الرائد العربي. بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ م.
- رسائل الكندي الفلسفية. حَقَّقها وأخرجها محمد عبدالهادي أبو ريدة. دار الفكر العربي. القاهرة، ١٩٥٠ م.
- السريان والحضارة الإسلامية. د. الشحات السيد زغلول. دار المعرفة الجامعية. القاهرة. ٢٠٠٢ م.
- ضحى الإسلام. أحمد أمين. منشورات دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الثانية. ٢٠٠٧ م.
- طبقات الأطباء والحكماء. ابن جلجل. تحقيق فؤاد سيد. مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥ م.
- طبقات الأمم. صاعد الأندلسي. تحقيق حياة بوعنوان. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي. ألدو ميلي. نقله إلى العربية د. عبدالحليم النجار ود. محمد يوسف موسى. دار القلم. القاهرة. الطبعة الأولى، ١٩٦٢ م.
- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء. ابن أبي أصيبعة. شرح وتحقيق د. نزار رضا. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت، ١٩٦٥ م.
- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء. ابن أبي أصيبعة. دار الثقافة. بيروت، الطبعة الثانية. ١٩٧٩ م.
- الفهرست. محمد بن أبي يعقوب. إسحاق المعروف بالنديم. ضبطه وشرحه وعلَّق عليه وقَدَّم له د. يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثالثة، ٢٠١٠ م.
- لسان العرب.. ابن منظور الإفريقي المصري. دار صادر. بيروت، بلا تاريخ.
- المترجمون السريان في العصر العباسي. سليمان السلامة. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة حلب. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية، ٢٠٠٤ م.
- مدارس العراق قبل الإسلام. رفائيل بابو إسحاق. مطبعة شفيق. بغداد، ١٩٥٥ م.
- المسيحية والحضارة العربية. د. جورج شحاتة قنواتي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
- مسيحيو العراق. سهيل قاشا. شركة دار الوراق للنشر المحدودة. لندن. الطبعة الأولى. ٢٠٠٩ م.

- معجم الأدباء. ياقوت الرومي الحموي. حَقَّقه وضبط نصوصه وأعدَّ حواشيه وقَدَّم له د. عمر فاروق الطباع. مؤسسة المعارف للطباعة والنشر. بيروت، د. ت .
- معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما أُلِّف فيها. عبدالله ابن محمد الحبشي. من منشورات المجمع الثقافي. أبو ظبي، ٢٠٠٠م.
- الملل والنحل. محمد بن عبدالكريم الشهرستاني. تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م.
- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. فرانتز روزنثال. ترجمة د. أنيس فريحة. مراجعة د. وليد عرفات. دار الثقافة. بيروت، ١٩٦١م.
- هدية العارفين. إسماعيل باشا البغدادي. استانبول، ١٩٥١م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان. حَقَّقه د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت، ١٩٧٠م.
- ثانياً: البحوث**
- حالية حنين بن إسحاق. جيرار تروبو. بحث منشور في كتاب (مهرجان أفرام وحنين). مجمع اللغة السريانية. بغداد، ١٩٧٤م.
- حنين بن إسحاق الفقيه اللغوي. كونهارو شتروهماير. بحث منشور في كتاب (مهرجان أفرام وحنين). مجمع اللغة السريانية. بغداد، ١٩٧٤م.
- حنين بن إسحاق المترجم. د. إبراهيم مذكور. بحث منشور في كتاب (مهرجان أفرام وحنين). مجمع اللغة السريانية. بغداد، ١٩٧٤م.
- حنين بن إسحاق والسلطة العباسية. د. فاروق عمر فوزي. بحث منشور في كتاب (مهرجان أفرام وحنين). مجمع اللغة السريانية. بغداد، ١٩٧٤م.
- سرجيس الراسعيني. د. يوسف حبي. بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي. أكتوبر. العدد الأول، ١٩٨١م.
- فلسفة بيت الحكمة. د. يوسف حبي. بحث منشور ضمن كتاب (بيت الحكمة العباسي. عراقية الماضي ورؤية الحاضر). بيت الحكمة. بغداد، ٢٠٠١م.
- كتاب الأخلاق لجالينوس. صحَّحه ونشره بول كراوس. بحث منشور بمجلة كلية الآداب. الجامعة المصرية. المجلد الخامس. الجزء الأول، ١٩٣٧م.
- مكانة حنين في تاريخ الترجمة. فؤاد سزكين. بحث منشور في كتاب (مهرجان أفرام وحنين). مجمع اللغة السريانية. بغداد، ١٩٧٤م.